

منشورات الاختلاف
Editions El-Ikhtilef

نصير فليّح

الأعمال الشعرية

2009-1996



«بصمة الإبهام أو بصمة الإبداع لدى الشعراء تتمثل بالتمييزات النبرية، النبرة هنا ليس بالمعنى الموسيقي وليس بالمعنى الأدبي (الأسلوبي) بل بمعنى الخاص المشبع بالعام. وإذا كان تاريخ شعرنا هو حشد من التكرار النبري فإن هناك من يمتلك وسط هذا الحشد التاريخي، نبرته. شعر نصير فليح يمتلك تلك النبرة التي انسلت من فجوة أحدثها ضغط الشعر؛ الالتقاطات النادرة عبر لغة تحتفل بنفسها تلك هي نبرة هذا الشاعر».

مالك المطلبي

«نصير فليح شاعر اللحظة المتوهجة، اللحظة التي ترسمها برهة زمنية تغشى العين فيها حدود الأشياء، وتذهب إلى جوهرها دفعة واحدة، وفي عتمة اللغة وانثيال الصور تتزاحم في قصيدة نصير كل الرؤى الواقعية والمحتملة.. القصيدة عنده مرايا تمر من أمامها كل التواريخ، فتعكسها كما لو أنها في كرنفال صغير حيث يرتدي الكل أقنعة الزمن.. قصيدة تمتلك من الوضوح الكثير وفي نفس الوقت تحيلك إلى واقع إشكالي غائر لم تكتشفه إلا التجربة الذاتية للشاعر.. هل نحن أمام انعطافة في الشعرية العراقية أم نحن أمام تجارب لا تتكرر إلا مرة واحدة؟».

ياسين النصير

«انطباعي الأول من قراءة قصائد نصير فليح ضرب من استسلام لشاعر يلقي حصاة في بئر عالمه الشعري الداخلي، وينتظر ما يفاجئه من أصداء، وهي عادة ما تتردد غائمة، تلميحية، وكأنها تريد أن تلقي الكثير من أعبائها على مقدرة القارئ على التأويل.. ونصير فليح، في معظم قصائده، يحاول بغريزة الشاعر أن يحفر في عمق الدلالة، المعنى، الرؤيا..».

فوزي كريم

«يتكئ نصير فليح على خبرة تتيح له أن يلاعب الحداثة بأوجهها المختلفة.. كثير مما تريد قصائد نصير فليح أن تقوله يصل إليه القارئ بالمشاركة التي هي ملمح حداثي..».

حاتم الصكر

«الشاعر يتعامل مع الكلمات بدقة واقتصاد وأناقة لتحقيق بنية شعرية تميل إلى التشظي من الأطر الخارجية والشكلية في بناء القصيدة الحداثية. فمن خلال ضربات سريعة وبالاعتماد على تجاور أو تناوب الصور والملصقات البصرية تتحرك اللغة الشعرية لتخلق صدمة تثير دهشة القارئ وتستفز ردود أفعاله الساكنة...».

فاضل ثامر





منشورات الاختلاف
Editions El-Ikhtilef
editions.elikhtilef@gmail.com

الأعمال الشعرية

2009–1996

الأعمال الشعرية

2009–1996

نصير فليّح



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL



منشورات الاختلاف
Editions El-Ikhtilef

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى
1431 هـ - 2010 م

ردمك 978-614-01-0028-2

منشورات الاختلاف
Editions El-Ikhtilef
149 شارع حسيبة بن بوعلي
الجزائر العاصمة - الجزائر
هاتف/ فاكس: 21676179 213+
e-mail: editions.elikhtilef@gmail.com



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: bachar@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

المحْتويَات

أَماكنَّهار

الوجود هُنا

إشارات مُقترَحة

دائرة المِزوَلة

ملحق نقدي

الأعمال الشعرية
2009–1996

- أَماكنَّهار
- الوجود هنا
- إشارات مقترَحة
- دائرة المِزوَلة

أَماكنّ نهار

مُكاشَفات عن جَمال العالم وكآبته

أماكن - نهار

إلى:

دانتي اليجييري، شارع الرّشيد، مالك المطّلبي، الصباح، مدينة الثورة، ياسين النصير، فردريك شوبان، زاوية صغيرة ظلت في ذاكرتي من ضواحي بغداد المُضَبَّبة، قارئ مُتأمِّل.

كُتبتْ هذه المكاشَفات في حزيران / تموز 2009

1

دانتي، مَدينة الثَّورة؛/ إِعادات..

دانتي، زُقاق، مدينة الثورة[1]

قد لا تكونُ حَيّاً، كما تَظُن؛

خَلفَ الزُجاجِ يَتكدَّسُ الحَشْـدُ، طَرائِقُ غريبةٌ للموت تَظهر؛ يَتَكاثرُ الذبابُ على الصمت؛ والعيونُ التي ترتمي من خلال الزُجاج، تُحدِّقُ فيكَ، كالشمس/

إذَنْ، لـمْ يَكُـنْ مَخبَـأً؛ كُنـتَ فـي لَحْـمِ الزُجـاجِ مُنـذُ البدايةِ، عندما كُنتَ وَجهاً، وترسمُ في نَخلِ البدايةِ صُورتَك.

ها هيَ موجةٌ أُخرى؛ من آخر الدربِ يندفعُ العُراةُ، وينطفئونَ علـى لوحـةٍ - هـذي التـي تنتصبُ كالزُّجاج -، أمامَ وجهكَ، لتعرفَ أنَّكَ ما زلتَ في زَمَنِ الخَليقة.

جَولة صَيفيّة، دانتي

فراغُ فراغِكَ الأَبَديّ ما زال مَملوءاً، تَرنو إلى عينيك؛ انعكاسَ الضوءِ في الكأس..

يا يَماماً وَدَّعَ (الطيران) صوْبَ (الرشيد)، يا صديقاً يُفَتِّشُ عن وجههِ وراءَ فَيْضِ الدُخان؛ (نسيرُ مَعاً بين فيضِ الحديدِ المُسَطَّرِ في السوقِ، لأرصفةٍ أغضبَ الصيفُ وَجهَها.. أَمالَ مراياهُ فوقَ المخابئِ حيث يحشرُ الناس أجسادَهم).

عندما قَطَعنا الطريقَ لم نكنْ غيرَ أثنين، الآن تمشي الحشودُ عاريةً من ساحةِ التحرير للنهر، كي تَغْتَسِل، أو ترتدي في العدم جِلدَها المُتَغافِلَ من بقاءِ السنين، رغمَ كُلِّ الدَبيبِ الذي يملأُ الأرض، رغمَ اختصارِ الصيفِ على قطرةٍ في جَبينٍ عابر.

قِصةُ (ذاك) الزّمان

قِصّةُ ذاك الزّمان؛/ .. كما يُغَرْغِرُ الطُّغَاةُ في العُمْقِ؛ في (هَدْأَةِ الغابةِ) كُنّا، الليلُ كانَ فِينا؛ رُبّما كُنّا نُجوماً، رُبّما حَمَلْنا ثيابَنا إلى حيثُ يدخُلُ النهر.

يَقُولُ دانتي: القَنْطَرُوسُ يَرمي الطُّغاةَ في نهرِ الدماء[2]؛ أقولُ: الغابةُ في القلبِ؛ ونحنُ نَسكنُ ساحةَ (الميدان) في الغُرَفِ الشَّريدةِ؛ تَمُرُّ القِياماتُ فِينا بلا لَونٍ، ونحنُ عُراةٌ على ساحةِ الكَوْن.

فرانتشيسكا[3]، عِراق، نافذة

الضائعُ الحزين؛/ .. أَتعرفُ هذا اللونَ الذي تَرمَّمَ فوقَ وَجْهِ الهلالِ على النافذة؟ أتعرفُ خيطَ انقطاعِ السـيولِ في وَهْدَةِ الريحِ؟ أتعرفُ قِصَّتي؟ أنا مَنْ جَلَستُ وراءَ الزُّجاجةِ كُلَّ يومٍ، لأُحصيَ الريحَ، وأُقْصي الكُرُومَ إلى وَهْلَةٍ تُشْبِهُ الشمسَ؟..

السُفُنُ الأخيرةُ في الوَهْجِ أمالتْ وِجْهَتي، وكانَ عليَّ أنْ أَقبَعَ في وَهْلَةِ الشمسِ كالرّيح.

إيثاكا

مِـن شـارعِ (الدّاخِـلِ)[4]، إلـى سـاحةِ الآخريـن، تَوقَّفَـتِ المَرْكَبَة.

كانَ يَحلُمُ أَنْ يَعودَ إلى غيرِهِ، بَعدَ كُلِّ الدُرُوبِ التي غَادرَتْهُ؛ تَعثَّرَ الجَسَدُ بالرِّحلةِ، والرِّحلَةُ بالمَرْكَبَة..

المساءُ تَألَّقَ في كُوَّةِ (الجامِعِ)، فيما تَجمَّعَتْ حَفنَةٌ مِن رجالٍ، حَوْلَ امرأةٍ (تَلْطِمُ الغَزْل).

أَنْ تكُونَ (هوميرَ).. مُرغَمَاً

لا أَقصدُ الشِعْرَ، بلْ أَقصدُ العَمَى؛

جَرَّةَ المساءِ التي حُشِرْنا بها..

هكـذا يَمَّحـي كُلُّ لـونٍ/ لِتبقَـى (الصغيرةُ) واقِفةً على شُـرفَةِ أطلالِها.. عندما يَتقدَّمُ الزَبَد، تَدخُلُ الشيخوخةُ البابَ؛ وعندَ أولئكَ الذينَ لمْ يَعرفوا الشمسَ، تكوُنُ العيونُ هيَ الشّاهِدَة، التي تَفتَحُ المُلْتقَى، وتَتَّقي رمالَ البَصَر.

دانتي، أيضاً

تَدخُلُ في العُتْمةِ؛/ ..تَغطِسُ في الظَّلام؛/ ..تُغَرْغِرُ كالطُّغاة..

أنـتَ طاغيـةٌ أيضـاً، ولكنّ حَشْـدَ أبنائِكَ الضائعين؛ هُم سِـنيُّ عُمرِك، التي تَندَفِعُ عاريةً الآنَ - مِن عُمقِ الطاوِلة -/ لِتَنْحَلَّ كالحِبْرِ؛ في جِرارِ القصيدة.

ثَلاثُ لَيالٍ مُمْطرَةٍ (من اللياليَ الأَلْف)

الليلةُ الأُولى:

هَطَلَ الهـواءُ مِـدراراً، وارتَدَّتِ السّـماءُ بِضْعَ خَطَوات. عندما دَخَلنا شارعَ المَقهى، صَادَفَنا بائعٌ: (سادتي: في الدربِ أعوامٌ، مِن غَيْضَةِ الدَّهْر..)..

الليلةُ الثانية:

ظَلَّـتِ المصابيـحُ مُنـارَةً طِوال النهـار؛ كانَ العالَـمُ يَتكـدَّسُ فـي المطـر؛ والقوافـلُ تُرسِـلُ أبواغَها في حُبَيْباتٍ صغيرةٍ بينَ البيوت..(البحرُ) يَلطـمُ سُـرَّةَ المقهـى، والزَّرازيرُ تَتوزَّعُ على أعمدةِ (الرّشيد)؛ ساحةٌ قديمةٌ للطَّمْي لمْ تَنْدَثر، ظَلَّت الروحُ تَعرفُها رغمَ النِّقاب الذي كَدَّسَتْهُ اللّيالي..

الليلةُ الثالثة:

المرأةُ السّاهدة؛ تُشبهُ الفَجر، والمدينةُ غارقةٌ في سِحرِها..

كراجُ المسـاءِ يُحَمِّلُ العابراتِ شـيئاً، مِن بَقايا الحقيقة، ودارِ المساء الذي خَلَّفَتْهُ الدُروب.

2

(أَنَا)، تَرَسُّبات، دَيْمُومة

مَساء

هـذا المسـاءُ يُذكِّرُني بالبدايـةِ، يـومَ أَنْ كُنتُ أَقرَبَ مِن حديدِ الشبابيكِ إلى الشمسِ، ويومَ أَنْ كنتُ أَرقُبُ: كيفَ ينمو حديدُ الشّبابيكِ إلى نَبتَةٍ في المَساء.

كنتُ أَدخُلُ في الهدايا، التي لمْ تَنتَبِهْ؛ في شريطٍ مُذَهَّبٍ لعُلبَةٍ فارغة، هي الحياةُ؛ وما كانَ يُفترَضُ أَنْ تَكوُن.

دائرة

في جَولتِهِ تلكَ في شارعِ الرّشيد، تَوقَّفَ إزاء زُجاجِ المَحَلِّ؛ يعرفُهُ جَيداً؛ منذُ أن كانَ شيئاً يَتشكَّلُ في هَباءِ الشارعِ المُصَفَّفِ؛/ (النهاراتُ حَمَلتْ لَونَ البَقَاء..).. كانَ يَمْحُلُ كُلَّ عامٍ، ويَتَجدَّدُ في الفُسحةِ المُقابِلة، حيثُ يَسطَعُ النهرُ بأضواءِ صَوتِه.

المَحَلُّ الآنَ مُغلَقٌ؛ والشارعُ يَتكَوَّرُ في حركةٍ تَمتَدُّ إلى بداياتِ (أبي نؤاس)، لتُوَسِّسَ مِن هُناك، صوتَ الطُفولةِ في لقاءٍ بَعيد.

ضَيَاع.. في (أبي نؤاس)

مساءٌ مُؤَجَّلٌ؛ يَرتبكُ في التُرابِ والخَشب، والنوافذِ التي وَصلتْ إليه؛ الليلةُ مُقْمرَةٌ، والرّصيفُ الذي خَلا إلاّ من ضياءٍ باهت.

هذا الخَدَرُ الغريب؛ السكونُ الهائلُ الذي يَلفُّ المدينةَ، شَجَرةٌ قَريبةٌ أصبحتْ ظِلاً غائِماً، وأسماءُ حاناتٍ تَدفقتْ في النهر؛/

(الصَّفراء)[5] تَركتْ أضواءَها، كي تعودَ مُجَدَّداً وتَتنشَّفَ في الصمت.

سَفْرَة جامِعيّة

البحيرةُ في العُمْقِ؛ لمْ تَكُنْ البحيرةُ ما نَراه..

هـواءٌ بعيـدٌ مُلَـوَّحٌ بالمِلْحِ، يقتنصُ الروائحَ من وُجوهِ البَنات؛ وكوخٌ عائِمٌ يَبْيَضُّ في الشمس..

كُنّـا شَـباباً؛ وكانـت الأرضُ تَحتَ مـاءِ الحُروب؛ وكُنّا نَجمعُ الألوانَ عن ضوءٍ يُشكِّلُ كُلَّ شيءٍ، من غُبارِ السّماء.

مُعَسكَرات، شمس، جَسَد

يَومهـا كان يَحلُـمُ../ كَـمْ كانَ غائِـراً فـي الفـراغِ؟.. يَمحـو لِيَتَشـكَّل؛ يَسـتَوثِقُ مـن حِكمـةِ النهـرِ قبـلَ الخُلُـودِ إلـى غابةِ الشـمس../ المُعَسـكَراتُ تَلهَثُ، والكِلابُ المَوْكُولَةُ للظهيرةِ نائمـةٌ تحـتَ البَّقـاء.. وخُطَـى التَـردُّدِ تَتوقـفُ بين المُعَسـكَرِ، والنُهَيرِ الذي يَلتَقيه؛ عند زاويةٍ صغيرة، يمتَدُّ منها نهرُ الجُنودِ الذي يستدير..

إجازاتٌ عسكرية

بينَ نارِ المُعَسكَراتِ؛/ ..وكانت المُدُنُ غَاطِسَةً في عُتْمَةِ النهرِ؛ الواجهاتُ القريبةُ فَاقِعَةٌ في الضياءِ؛ وقُرْبَ مَقْعَدٍ في السينما؛ الليلُ وَحدهُ، يَتَأَكَّلُ المَقَاعِدَ والجِلْد.

رياحٌ غريبةٌ من البُعْدِ تَتَوقَّعُ رأيَ البلادِ؛ فَتَعْكسَ أَيَّامَهَا..

عَمَل سرّي

كان يومَها شَابّاً، عندما خَطَرتْ لهُ هذه الفكرةُ لأوَّلِ مَرَّة: لماذا نُؤَسِّسُ لِكُلِّ ما يَستَفيقُ على صَيحَةٍ من هَباء؟..

ظَلَّ الموتُ يُراوِدُهُ مَرَّةً بَعدَ أُخرى، والسنواتُ تَتَشكَّلُ بينَ (شارعِ للرَّشيدِ) وَفُسحَةٍ مُقابِلَةٍ من (أبي نُؤاس)؛ المُنَظَّماتُ مَوقُوفَةٌ، والباراتُ تَحمِلُ رائحةَ المُخبِرِ السرّي، والحدائقُ مُكَدَّسَةٌ في العُمْق.

يومَها كان يَتَجوَّلُ، ويرسُمُ خَيطاً طويلاً يَمتَدُّ بين الحدائقِ، عارِضاً على الموتِ فَحوى المكان.

بِدايات

كانَ ذاكَ الضّياءُ غَريباً، وكُنتَ تَقترِب مِن جِرارِ النّهار؛ كُنتَ تَحلُمُ أَنْ تَكوُنَ شارعاً في وَقْرَةِ الشّمس، أَنْ تَتلُوَ نَصَّكَ المُغْبَرَّ صَوْبَ التُراب..

تُرى؛ كمْ كُنتَ فَظّاً، وأنتَ تَطلُبُ من غَفلةِ الصيفِ الأخيرةِ، شارعاً مِن دَلالة؟..

شَيخُوخة

رَغْمَ الطَّمْي في دجلَةَ، رغمَ نارِ المكان وتَهْويمَةِ الزورقِ؛ الجَسَدُ دائرٌ فَوقَ الظَّهيرةِ، فوقَ الجُسورِ القريبةِ مِن مَبْزَلِ الحُب.

كأنّنا أَقلّ اكتراثاً بالنخيل؛ بارتداءِ الغُروبِ جِلْبابَهُ في فُسحَةٍ، قد تكونُ إطْلالَةً - دُونَ أنْ نَدري -، وقدْ يكونُ الهواءُ القديمُ على ماءِ دجلةَ شيئاً، مِن ظِلالِ الهواءِ القديمةِ في كُهُوف الجَّمال.

نَحنُ لمْ نَعُدْ نَحلُمُ كثيراً؛ تُرى؛ هلْ أَرمَلَ الحُبُّ، أَم إنَّهُ المَساء؟!..

إمتداد

(هناءَةُ العَصْر)؛/ .. الرياحُ../ عندما كُنتَ شابّاً..

البارُ حديقةٌ خلفيةٌ، والنهرُ في النخلِ كالنخلِ في النهر؛/ ساعةٌ صامتةٌ، أو حمامةُ طين؛ وقُربَ الأَكَمةِ في الزاوية، يمتدُّ ظلٌّ لنهرِ المساء الذي ينثني، أو يفيقُ على شارعٍ في جادّةِ الحلم.

كانوا كثيرين، وكُنّا فُرادى، واليومَ نمشي:

نخلةٌ في الجِلْدِ، وعَصرٌ تَوارى وظلتْ أياديه مُبعثَرَةً، بين طَسْتٍ؛ وزاويةٍ؛ وضوءٍ بعيدٍ؛ ومَشْبَكِ نافذةٍ؛ وبَاب.

مُوارَبة*

هذا الجسدُ عَرفتُهُ منذُ أَنْ..سِيَّمَاه؛/ عرفتُ ذاك الطريقَ المُؤَدّي إلى راحَتَيْه، ونارَ الليالي - الأثيرِ على سِرّ وجهه.

اليومَ أَحمِلُهُ، أو أقودُهُ فَيتبعُني؛ فيما نتبادلُ قليلاً من الصمتِ، عن (جُبِّهِ)، وعن تلك الدروبِ الطويلةِ التي؛ لم تَكُنْ مَن لَقَاه..

---

* يوسُف..؟

نَقَاهة

تَتوقَّفُ يوماً، لِتكتشفَ أَنَّكَ لَسْتَ ما ظَنَنْت؛ والأَهمّ مِن ذلكَ كُلِّه؛ أَنَّكَ لا أَحَد.

يَتعـدَّلُ لَـونُ السَّـحاب، والمطـرُ الذي يَلْتَقيـهِ، والزُّجاجُ الذي يَحتضِنُ المَطَر.

عندَ ذاك، لنْ تَعودَ سوى نُقطَةٍ، تتحركُ على النّهاراتِ/ ورغمَ الألمِ والخَوْف، رغمَ التَجذُّرِ والصَّدَى، تُرسِلُ سَهمَهَا الناريَّ بَعيداً /-في غابةٍ-/، حيثُ لا تَلتَقي سوى الكَثَافة.

الآخَرون*

تَنحَـلُّ أيامُهُـم، مِثْـل الوُجـوه، تَنحَـلُّ أقدامُهُم؛ أنـتَ تَعرفُهُم، وتَعرفُ أَنَّهُم كانوا البداية.

تَعرفُ النارَ حيث التَقَيْتَهُم، و(المَذبَحَ) الذي ظَلَّ فارغاً، بَعدَ أَن غادرَ (القائِمون)؛ يومَ أَن كُنتَ طِفلاً، والتَقَيْتَ الحياةَ على شارعٍ يرتدي بَزَّةَ النهر.

---

* قُربان..؟

الآخرون*

مَنْ عَرفتَهُم، لماذا يَفزَعون؟ لماذا يَشدُّونَ الرِّحالَ إلى جُرحِهِم، ولا يَرحَلون؟

كَم كانتِ الأرضُ فارغةً؛/ أَنْ تَكونَ أَنت، وأَنْ يَكُونوا هُم؛ وأَن تُرسِلَ الأعوامُ خَيطَ أَنوارِها – مِن ثُقُوب الجَفَاءِ –، لِتَنسُجَ عَائِلة.

* مَوت..

الآخَرُون*

بَعيداً عن شمسِها، نامتِ السنواتُ فَظَّةً؛

كان يُحدِّقُ في الجدار، في فُسحَةٍ تُطِلُّ على كُوَّةٍ، تتناهى عبْرها من بعيد، أصواتُ (أيّامِهم)، فيما كانَ العنكبوتُ يَنسُجُ، صوتَ شِباكِ ضَوئِهِ الخافِتة؛ خُيوطاً بيضاءَ مُتقاطِعة؛ هي النهاراتُ المُشتَبِكَةُ مع العُتمةِ كاشتباكِ الشَّفاءِ مع الليل.

* مُغالَبة..

دوائر قصيرة*

لماذا، أَنْت،

ما زِلْتَ

ها

..هُنا؟

---

* عَتَب

(على طُولِ العُمْر)**

** (تَدْخُلُ بابَ التُّرابِ، وتُحدِّقُ في القَبْر):

- مرحباً، سَتنسى (عائِلَتَك)***،

ستكونُ سَعيداً.

*** الناسُ وَهْمٌ؛ العائلةُ باسِقَةٌ كالصُنَوْبَر.

3

أَمَاكن، رُبَّما..

ساحةُ التحرير، مَكتبات، جَسد

(الظهيرةُ تَتَفتَّحُ في الشمس..)

أنتَ تُقاومُ الرغبةَ التي تَتكوَّرُ في (المَزاد)، حيثُ يَبيعُ ويَشترون، وَتَختَبِئ في مَلاذٍ مُرَدَّى؛ سائِلاً عن نهرٍ قديم، عن جثةٍ تفسختْ رغم (الفورمالين).

المساءُ في المدينةِ وحيدٌ وصامت؛ غُرفةٌ قديمةٌ قُربَ السينما، رآها الزُّوّارُ عندما جاؤوا، وعندما تَكَوَّمَتِ الحقائقُ فَوقَ بَعضِها/ أنابيبُ التَّصْريف؛ المياهُ المُناوِبَة؛ والنافذةُ التي عَرِفتِ العُصُورَ والقِرَبَ الكثيرة. مِن ساحةِ التحرير إلى (ساحةِ العَبْدِ)، ومِن هَسيسِ العابرينَ إلى صَوْم الشتاء؛ المَكتباتُ تحمِلُ أوراقَ مَن جاؤوا ضَفَّةَ النهرِ، جُثَّةَ أو كِتاب.

مَساء، في مَدينة الكاظِمية

تَوقَّفُ في الوَهْجِ؛/ كمْ جداراً كان يُرْدِي المَسافَةَ؟..

كانت الأشباحُ في العُتمةِ تتحركُ فَوقَ السُّطوحِ، تحتَ ضوءِ المصابيحِ الغريبةِ؛ وَهَجُ المَرَاقِدِ يَمتَدُّ في نَماءِ الوُجُومِ، فَتَستَحيلُ المنائِرُ أشجاراً، والقُبَّةُ صَولجَاناً..

مَشهَدٌ مَلَكيٌّ/ أَواخِرُ تَمُّوز/ الكاظِمية/ ؛ النِسوَةُ يَنْسُجْنَ خَيطَ الطريقِ، والجُموعُ تمضي صَوبَ النهايةِ (صَوبَ نهايةٍ)؛ المدينةُ ساكنةٌ، في رَقائِقَ كَدَّسَتْ لَيلَها؛ والوردةُ غائبةٌ في نَماءِ المساء.

بابُ المُعَظَّم، أبديّة

جَبلٌ قديمٌ؛ تحتَ (مدينة الطبّ)؛/ تحتَ جَذْرِ الضياءِ؛/ تحتَ رارنجةِ البيتِ؛/ تحت التُراب.

كانت العَرَبَةُ مُمتلِئَةً بنا؛ بالثّيابِ المُلوَّنة، فيما كُنّا نَتطلّعُ مِثْلَ مَوتى، من زَمنٍ آخر، إلى الشارع.

كَينونة، فَقَط..

الضَّوَاحي قُربَ بَغدادَ؛ شيءٌ يُشبِهُ الوَقت؛/ تَرَى الأشياءَ صامِتَةً، تَحمِلُ حِكمةً، بينَ هذا النّهارِ وذاكَ (المَدَار).

النهرُ مُحاصَرٌ، (يَشرَبُ الماءَ)، أو يُهيلُ الخُطى في دَارةِ للضَّوَاحي.

أَسْلاف

تَراكَمَ الغُبارُ على الطّاوِلة؛ والزّجاجُ العَموديّ أفضَى إلى المتاهة.

عندما كانتِ الطُّفولةُ مَرعَى، والنّهارُ القديمُ تَكدَّسَ في الصَّرائِف، في (ثَورةٍ) لم تَعرفُ (الفَجْر)؛ رُبَّما كانَ الشِّتاءُ وَحْلاً، والمدينةُ تَصطَفُّ مُتعَبَةً، في سَمْتِ لَيْلِها.

على الزّجاجِ القديم؛ تَتَفتَّحُ السماءُ هامِلَةً؛/ وعلى زجاجٍ أقدَم؛ غُبارُ البُسُطِ المُزَركَشَة، وهيَ تَنتَظِمُ في مَأتَمٍ، أو عَزَاء.

Chaos*

ذلكَ المَشهَدُ الفَظّ؛ انسحاقُ العيونِ أمامَ سَحَابةٍ، ظَلَّتْ تُشيدُ مع (الثّورةِ) شارعاً، مُوحِلاً، كالدُّرُوبِ - على وَردةٍ للوُحول..

(قديماً) عَرفنا الحياة: الهواءَ المُعَتَّقَ بالشّمسِ، والخمرَ في ليلةٍ مِن صَفَاءِ الوُجُوم/ عَرفنا الذُّبالةَ تَهتزُّ صَوبَ الجَمَال؛ أو شارعاً واسعاً، تَحفُّ السُنونُ على جانبيه، في قطرةٍ للخمرِ ضائعةٍ؛ على وجهِ تلك الحياةِ التي لمْ تَكُنْ، غيرَ الحياة..[6]

* نوستالجيا..؟

سُوق، غُروب، قَمَر

السُوقُ أيضاً؛/ الأرضُ جالسةٌ في بَرَدِ المكان، والضياءُ يَنسَلُّ من هُوَّةِ السَقفِ؛/ ضياءٌ سماويٌّ؛ من سماءٍ بعيدةٍ، من غابةٍ مُتَعالِقَةٍ في تُخُومِ السّماء، هُنَيهَةٌ؛ ثُمَّ يَدخلُ القمر.

رجلٌ أخيرٌ قُربَ كَوْمِ البَهَار، يَرمي عِظَةً للسّماءِ الكبيرةِ، مِثلَ حاوٍ، يختتمُ المهرَجانَ بِعظْمَةٍ للجِرَاء.

عَبَث

ها أنتَ تَختارُ وجهاً، بين كُلِّ الوجوهِ المُعَلَّقَةِ على فُسحَةٍ للبازار..

في نهايةِ الفُسحَةِ ساحةٌ، وخَلفَ الساحةِ جامعٌ، ووراءَهُ شارعٌ، وخلفَ البُيوتِ إطلالةٌ، تَقودُ – كما الموتِ –، إلى كلّ الوُجوه.

زُجاج، فَجْر، نافذة

شَريداً،- كالزُّجاجِ الذي تَعَتَّقَ في الضوءِ؛ كالمصابيح التي شَفَّهَا الجُهْدُ، كذكرى الخيولِ، يومَ أَنْ كانتْ رحلةُ الأرضِ تَمتَدُّ كالشَّمس.

الوَهَجُ الأخيرُ لفارسٍ مَاعَ في الفجرِ، وظَلَّ البارُ صامتاً، كزُجاجةٍ مَنسيَّةٍ مَرميَّةٍ من كُوَّةٍ عالية.

الجُثّة

في المَشَافي تَتوحَّدُ الشّمس، في الرياحِ الخفيفةِ خَلفَ الجدار؛ المساءُ مُكَلَّلٌ بالسُكون، والنهارُ المُغَرَّبُ في الرُّبى.

الفُسحَةُ؛ كَما كانتْ قَبلَ أَيّامِهِ أو أَظَلّ، تَعرفُ الشمسَ، عندما يَترَكَّبُ الليلُ في المطر، وعندما تَستفيقُ المسافةُ، بين الصَّدى والطريق.

هـذه الكلمـاتُ لا تُفْصِـحُ عـن حِكمَـةٍ، غيرَ اختـلاطِ الثيابِ، بالضوءِ، بالمَحْرَقَة.

مَطَر

الخُيـوطُ اللّولَبيَّـةُ الصَّامتـة، تَنعَكِـسُ على جَبهَتِك؛ فَيَسـتحيلُ الأحمرُ أخضرَ/ ثُمَّ ذاكَ الصَّفاء المُمَيَّز للشّمس..

خَلـفَ باحـةِ الـدارِ فُسـحةٌ؛ كَلْـبٌ صغيـرٌ ينامُ بِلا عَـزَاء؛ فيما يُحَمْلِقُ المَطَر، بِعينٍ صغيرةٍ ذاهِلة، بِبُقعةِ المسـاءِ تلك، التي تُشبِهُ الكَلْب.

مَوت، مَدينةُ الملاهي، مَساء

المهرجانُ؛/ صَمتُ النّيونِ، ذَوَى الاحتفالُ، انطفأتِ الأجراسُ، وظلَّ التّراب.

ظلَّ الحارسُ وحيداً، وفي الضفّة الأخرى - حيثُ الهواء - تجمدتِ الليلةُ صامتةً، كظلِّ زجاجٍ، أو هيئةٍ داكِنة.

سوف يجتمعُ الأعضاءُ قريباً؛

القصبُ والنجمةُ

والحارسُ والليلُ

والغَيْبةُ الدّاكِنة.

انفصال؟

ما ذا الضياءُ القادمُ من آخرِ الغَرْبِ؟..من زُجاجِ المحلاتِ في البيوتِ القديمةِ..، من قرارةِ النهرِ؛ من هواءِ المساءِ المُشَبَّعِ بالسُكُون..؟

رغمَ وجهِ المساءِ، تمددتْ نخلةٌ؛ كانَ الفِناءُ صغيراً/ ولكنَّ فسحةَ الظلِّ تَشتدُّ بينَ الغُصون.

قدْ نبني مَركباً، هنا، في فُسحةِ الظلِّ هذه، ونَحسَبُ أنَّهُ النهر..

انفصال

..(قديمٌ هوَ الصَّوت)..، العرباتُ تُحدِّقُ في الشارعِ، والنجومُ مُعَلَّقَةٌ مِن جِلدِها؛ أثاثُ الغُرفةِ البسيطِ/ السماءُ بعيدةٌ كالسقف.. شيءٌ من عِبْقِ المساء، عبْرَ نافذةٍ مُبلَّلةٍ بالخشب.

السماءُ تَنسَلُّ كَخيطٍ أزرقَ طويل، من سماءِ الغرفةِ، لتعودَ وتَخلُقَ من جديد، مساءً وحيداً جداً، على الفَلَواتِ والصَلَواتِ والسنواتِ والنِّيون.

حُلم، قُبَيلَ ساعةِ الفجر

(1)

كمْ كانَ مُتوَحِّداً؛..

(تَعرِفُ تِلكَ العُتمَةِ، تُدرِكُ كَمْ كُنتَ شَيخاً؛ لِتحلُمَ أَنَّكَ كُنتَ هُناك؛/ للعَالَمِ رائحةُ الجَسَد؛ ثيابٌ قَديمةٌ مُعتَّقَةٌ في مَكانٍ ما، الليلةُ الصّافية، والكراجاتُ المُحَمَّلَةُ بالمَجَاهيل.

طُرُقٌ قديمةٌ خائبةٌ في الزَمان، وأنتَ حَلَلْتَ على شارعٍ أَوَّلٍ، لِتحلُمَ أَنَّكَ بانتظارِ المساء، أو عَرَبَةٍ تَقُودُكَ يوماً الى دارَةِ الشمس..)

عَينُكَ المُرتجفةُ مُتَسارِعَةٌ تحت نارِ السرير، والساعةُ ساكنةٌ على عُتمَةِ الجَسَد.

حُلم، قُبَيل ساعةِ الفجر

(2)

في نهايةِ الطريقِ العظيمةِ الصاعدة، لمْ يَعُدْ يَرى شيئاً؛ العُتْمَةُ وَحْدها ابتلعتِ الأشكالَ، حتى تلكَ الأَبنية البارزة، والشُرُفاتِ المُظَلَّلَة.

قَبْلَ ساعةٍ كانَ في المدينةِ؛/ (مدينةُ أشباحٍ لا يُضيئُها سوى الهِلال، وأشكالُ السائرينَ فوقَ السطوحِ تُشبِهُ الأَسْيجَة؛ في الصيفِ، حيثُ تَتأرجحُ الملابسُ في (مدينةِ الثورةِ)؛ يَظَلُّ الخَيالُ وَحدهُ؛ ما يُحِيلُ ريحَ المساءِ الأليفةِ إلى دَارَةٍ من عَدَم..).

كان نائماً، وكانت الساعةُ قد تجاوزتِ الرّابعة..

حُلُم، قُبَيلَ ساعةِ الفجر

(3)

الصورةُ: مَركَبَةٌ؛/ .. يَميلونَ في هواءِ الغُرفةِ، ويَهبطونَ على السّرير؛/ كانَ العالَمُ مُتداخِلاً،.. وفي المناطِقِ الأكثرِ وَحْشَةً، تَنتصِبُ العِماراتُ مُنفَرِدَةً؛ مساءٌ صَيفيّ عَابقٌ بالهواءِ، والعُتمَةُ تَدخُلُ الأوراقَ كالسِّرّ. هلْ كانَ نهراً أَمْ هُوَ البَحر؟؛/ النُجومُ، والبَشَرُ يُحْيُونَ كَرنَفالاً مِن غُرَفٍ مُضَاءة..

..كُنتَ نائماً تَحلُمُ، وكانتِ الساعةُ ساكنةً في الجدار.

تَوثيق*

إذاً، كانتِ الأرضُ غائبةً؛ وكان الهواءُ بَليغاً مِثلَ ريح..

لمْ نَعُدْ نَحمِلُ من سُرَّةِ الماضي سوى ظِلِّهِ؛ نَحنُ العُراةُ على قاعةٍ تُشبِهُ التأريخ/ نحنُ المُقيمونَ في قَطرةٍ - قارورةٍ، تَمتلئ، لتعودَ ناحلةً من جديد.

فـي سـاحةِ (الميـدان)، فـي (كراج العـلاوي)، في (الثورةِ) و (بغدادَ الجديدة)؛ أو في الوهلةِ الفارغةِ قُربَ نافذةٍ لمْ تكتملْ دائماً؛ سَنُكمِلُ ما بَدأْنا:

عندما تحركَ الصيفُ يوماً، رأينا السـحاباتِ تَعلو على جُبِّ يومِها..

..ولمْ نَعُدْ ننتظر.

---

* مخطوطة، في هواء قديم..

4

(وَطَن)، بِلاد، بِلا..

(وَطَن)، بلاد، (وَطَنية)

عندما يَكبُرُ الحُزنُ، في العَينِ العراقيةِ المُقْفَلَة؛ عندما تَنفَلِتُ الفُقاعةُ، وتَتَحطَّم على زاويةٍ من غُبارِ السَّماء/ القَسوَةُ والجَسَد،/ ذكرياتُ البِدايَةِ،/ وارتحالِ الرّياحِ على بُقعَةٍ مِن هواءٍ قَديم (-تشبه الريح-)، أو ساحةٍ خَلفيَّةٍ للحديدِ المُكدَّسِ؛ تُسَمَّى (الوَطَن).

وَطن، بِلاد، بِلا..

سَلامَةُ (**الأُمَّةِ**)..هذا (**الرُّخَام**)..يا سادِراً في ضياءِ النّهار..يا بائعاً سِلالَ الهَوَى..البُؤْرَةُ تَتَناهَبُك؛ مَتاهَةُ الجَذْبِ الأخيرِ؛/ أنتَ كُلُّ إنسانٍ، ولا أَحَد.

الضياءُ الذي يَشمَلُ النهرَ، كانَ يَلُفُّ (مُواطِنِيْكَ)، الراشِفينَ مع الخطيئةِ؛ مِثلَما **غُلْمَةٍ**، لمْ تكتَمِلْ بَعْد.

بِلا..

تَختَلِطُ الأشياءُ في العُتمةِ، تَختلطُ الطَّحالِبُ والنَّهار؛ سَاريَةُ السَّفينةِ؛ والبلادُ تَتَماوَجُ في البُعْدِ فوقَ ضَوءِ الهلال الذي يَنْبَجِس.

أَنْ تُولَدَ هُنا، أَنْ تَمُوتَ هُنا، وأَنْ تُهاجِرَ في رحلةِ الضوءِ صَوْبَ (الجَّرِيْرَة)..

5

المُطْلَق، أيضاً

مُطْلَق

(1)

لا شيءَ يُشبِهُ هذا الطريق؛ لا شيءَ يَدخُلُ هذا الزّحام؛ كُتَلٌ هوائيةٌ فارغة، تدوُرُ على فُسحَةٍ راكِدة؛ حيثُ يَرمي الطريقُ اقتراحاتٍ، كما يَفعلُ الشخصُ بالبَذْر.

مَدينةٌ مُلوَّنَةٌ في الأَعالي، تُحدِّقُ في السّماء/

رغمَ وَهْجِ النجومِ على جِباهِنا، رغمَ سماءِ ليلتِنا الأخيرةِ؛ نَرى مدينةً في السّماء.

مُطلَق

(2)

عُيونٌ تَرى بَعضَها، وَتنظُرُ في الأَعالي؛ كأنَّ المَرايا قَد تَصيرُ مَراقِدَ للزَّمن..

على كُلِّ حالٍ؛ ما يَرشَح مِن الأجسادِ يَدخُلُ في البَقايا، ونارُ المسافاتِ عالِقَةٌ في قُصُورِ التَعَجُّب../ بِضْعَةُ أَرجالٍ قَطَعوا مسافاتٍ هائلةٍ في ثنايا القُرُون، يَمُرُّونَ قُربَ النّهارِ - مِثْلَ سَحَابةٍ -، لمْ تَكُنْ مُطْلَقاً ذاتَ قَرابَةٍ بالجسَد.

زَوْبَعَة، مُصادَفة، أَبَديّة

بينَ الغُبارِ المُلَوَّنِ؛ نامتِ الزَّوْبَعَة؛/ قَدَحٌ يَعلو ثُمَّ يَستفيق؛ علاماتٌ فارِغة؛ أشلاءُ مَلابسَ وتَواريخ..، واللحظةُ الصادِمَةُ كالحُبّ، حينَ يكونُ بعيداً ودائماً، قَريباً ومُتَقَطِّعاً..

أُناسٌ آخرونَ كانوا هُنا، على مَقعدِ هذهِ اللحظةِ الدائبةِ عبْرَ السُّكون.

تَناظُر

بُوقُ الظّهيرةِ يَصطفي سَامِعِيه، حمامةُ الشارعِ تَتوقّفُ للنّماءِ على السّتارة..

كمْ كانَ شَيخاً: (سَادرُ العالمِ)؛/ جُثّةُ الكلبِ المُتَحلِّلَةُ على الزاويةِ؛ والرجلُ الذي يَتفحّصُ أسنانَهُ؛/ فيما تَشبَّثَتْ، على زجاجِ المَحلِّ، صُورةٌ لأمرأةٍ مِن عَصرٍ آخر.

مَطَر

(- نَعيشُ هُنا، لكي نَفْهَمَ جَمالَ الوجودِ أو نَتَانَتِه.)

قالَ هذا، ومَضى مُسرِعاً في الزاويةِ الصغيرةِ، التي تَفصِلُ بينَ مَقعدِ الظّلِّ و(المتحَف).

كانت السياراتُ تَمُرُّ، كَما الشمس - دُونما اكتراثٍ -، فِيما ظَلَلْنا نُعيدُ سماءً مِن وُجودٍ مُتَحلّل؛ القطراتُ التي تُشبهُ المكانَ مَوقُوفَةٌ، والقطراتُ البعيدةُ هيَ السِرّ..[7]

ذاتُه..

عِبْقُ هذا النّهار؛/ الطَمْيُ يَحملُ سُـرَّةَ التكوينِ للنّهر، والنهرُ يَمتدُّ فوقَ الجُسُورِ، كَما لو كانَ سَادِراً غابِراً للسَّحاب.

كمْ كانَ عَالِقَاً، شارعُ العالَمِ الفَظِّ في وَجهِهِ.. رغمَ كُلِّ الأديمِ المُرَاوِحِ، في دَارةِ الزمن.

مَحْض..

بين فراغِ اللحظةِ، وتلك المسافاتِ الغريبةِ في الشّمسِ؛ عُتمَةٌ صامتة/ هلْ هيَ لَوثَةُ النهر../ هلْ هيَ غارةُ الصّيفِ../ تجيءُ الروائحُ من (ساحةِ الغابةِ)؛ الضّفةُ ذاهلةٌ؛ والنّيونُ الأخيرُ على جسدِ الحديقة.

رائحةُ الطَمْي تُشبِهُ رائحةَ الساعةِ الواقفة..

إعلان، مَوت، ظَهيرة

إعلانُ الكوكاكولا؛/ ..بَعدَ قَليلٍ يُطرَقُ البابُ؛ تَرتَدي ملابسكَ وتَنطلق؛ الصيفُ ضارٍ؛ والبُرُودَةُ جاثِمَةٌ في قَطرَةٍ تَنزَلق على طُولِ الزُّجاج، امرأةٌ باسِمَةٌ، وألوانٌ مُشَتَّتة.

هُـمْ يَنتظرونـكَ الآن؛ كانـوا أَعدّوا (المَـزَار)، وأَرقَدُوا المَيِّتَ فـي الفُسـحَةِ،/ .../ ،إنطفَأَ التلفـازُ، وَظلَّـت البُـرُودةُ عالِقَةً في الشّاشةِ الصامتة.

مَطَر..، قِيامة..

مِـن مدينـةِ (الثـورةِ)، إلـى آخـرِ صَيحَـةٍ مِـن صَفيـح؛ تَبَـدّى المسـاءُ؛/ مَرَّتْ عليهِ البيوتُ صَاغِرَةً؛ هَباءُ الحقيقةِ؛ وسـاعةُ الأرض.

بُوقٌ هائلٌ يَنفخُ الشّمسَ..وبينَ صيحةِ البُوقِ والشمسِ قَطرةٌ واحِدة.

تَجَسُّد

(1)

عبْرَ (رائحةِ الصُّوفِ)، يَتجَدَّدُ التاريخ../

تَرسُمُ دائرةً، وتدخُلُ فيها؛ قد تكونُ الدائرةُ مدينةً، أو مَشهَداً حَربياً، أو ساعةَ خَلْوَةٍ، أو قطرةَ انشِغال.

المُّهِمّ؛ الهواءُ الراكِدُ في سِنينَ طويلةٍ، يتَسرَّبُ مِن فُسحَةِ الكُوَّةِ؛ ويرسُمُ شيئاً يُشبِهُ التأريخَ، حيثُ لمْ يَكُنْ غَيْر الهواء.

تَجسُّد

(2)

رغمَ جُرحِ الهواءِ المُؤنَّثُ بالشَّمسِ؛ رغمَ ذاكَ الانتماءِ الغريبِ إلى مناطقَ مجهولةٍ أو (دائبة)/ أنتَ تَنظُرُ في ساعةِ المِرآةِ؛ تُجَدِّدُ في الظُّلمَةِ صمتَ المَكان؛ شارعٌ بعيدٌ وغامض، يَقودُ إلى مدينةٍ تَعرِفُها..

يَتحركُ الضوءُ، وتهتزُّ وَمضَةٌ؛/ ربما كانَ الجدارُ يُسربُ في الضوءِ، تاريخَ ما كان عائماً – في مساءٍ سَحيق.

خُرافات*

قالوا: (هيَ الوِجْهَةُ)، واستَوثَقوا مِن كُلِّ شيء؛/ رفعوا الهواءَ صَوْبَ البداية، واستقامَ المَطَر.

كانَ النَّصْلُ يُقْبِلُ، مِن آخرِ التأريخِ في أوَّلِه؛ وكانت وجوهُ (السُّعَاةِ) تَنْفَصِل، لِتَرُودَ ثانيةً، مِن وَراءِ الغُبار.

لم يكنْ ثَمَّةَ غَيْر الغبُار، ولكنّ المَرايا - في صَفاءِ الحياةِ -، لمْ تَقْطَعِ اللَّمْع.

* عَقائد..؟

تَنَاسُخ

كانَ المساءُ غَريباً، عندما لَمَحْتَ فكرةً، مَرَّتْ قَبلَ خمسينَ عاماً؛/

البدايةُ: شارعٌ يُشبِهُ الجَسَد؛/

رجلٌ (غامِرٌ) يَتوقَّفُ سائِلاً عن سُؤالٍ غريبٍ لغامِرٍ آخرَ لمْ يَرَه.

تَناسُخ/*

تتوقعُ أن تأتي أخيراً؛ كُلَّما تَجَدَّدَ فيكَ المَكانُ تجدَّدتِ المخاوفُ، رياحُ التجاويفِ الأَخيرةِ، وهذا الجدارُ المُخَرْبَشُ بالطين..

وراءَ المدينةِ يَقْبعُ النهر، ووراءَ النهرِ لا شيء؛ طريقٌ غائرٌ في البعيد، تَكَدَّسَ على عرباتِه ذات الغُبارِ المُكَدَّسِ على الطاولة؛ طاولةٌ بِقَدَمٍ مَكسورةٍ مُنذُ عام. كمْ مَرّةً وُلِدْتَ هُنا؟ كمْ مَرّةً وُلِدْتَ هُناك؟ أتذْكُرُ؛ قَبْلَ أعوامٍ كثيرة، عندما كُنتَ بائعاً (للنُذُور)، أو عابراً بين البيوتِ في حياةٍ أُخرى.

رغمَ كُلِّ الحنين؛ تتحركُ حياتُكَ كَتَعَرُّقٍ بسيطٍ بين النوافذ، على جدارِ طينٍ رَسمتْهُ العيون؛ الموتُ يأتي أخيراً، وقدْ قُلْتَ شيئاً غامضاً، رُبَّما: كلمةَ وداعٍ؛/ أُناسُكَ الذين تكدَّسوا الآن كالغُبار، والعالمُ الذي تَكوَّرَ مَرَّةً أُخرى..

* موتٌ جديد، أميرتُه..

تناسُخ/*

أثمُلُ بالضوءِ، بالتَّرهات الأخيرةِ لحكمةِ الجَسَد؛

كنتُ يومَها شابّاً، وكانَ الجدارُ المُكَرَّسُ للطينِ يَحمي ضياءَ الصباحِ من وَهَجِ الهَجيرةِ؛ نائماً كالخُلْدِ؛ وكانت الفصولُ تَتَعاقَب..

في (حياةٍ أُخرى)؛ عَرِفتُ ساحةً أسمُها (الميدان)، وشارعاً بأعمدةٍ مُتوالية، وذكرى البيوتِ المُخَضَّبَةِ في البُعْدِ.. لكنّني، في قَبْويَ الآنَ، أُراقِبُ الفصولَ التي تَتَعاقَبُ في الكُوَّةِ، وأَعرِفُ مَوتي، من لحظةٍ نادرةٍ يُجَدِّدُها الانتظار.

* إنتظام..؟

الناسُ نِيامٌ، ما إنْ يموتوا..

بُقَعٌ من الضوءِ تَتَوسَّطُ المكان/ .. تُحاولُ أنْ تَلْمَسَ الفكرةَ؛ هلْ النبعُ مَريرٌ؟ وأنتَ تَدخُلُ في الظلامِ؟ هل كانت مَدينةً ما عِشْتَهُ، هل كانَ شيئاً يُشْبِهُ البُوقَ، يَنفخُ كالصُورِ في الحَشْدِ؟.. هل كانتْ حمامةً، أو تاجراً مُتعَباً قادماً من الشرق، هل كان وجهاً تَبـدَّدَ مـا إنْ لمَسْـتَه؟.. عينـاكَ فـي الغـابِ، والمدينـةُ ذاهبةٌ..

الضواحي، البيوتُ، جاثمةٌ مِثْلَ بغدادَ أو النَسْلِ، الذي تكاثَرَ في غُرَفٍ ظلتْ تُطِلُّ على بعضِها، ما دامَ النهارُ حيّاً، وما دُمْتَ تتوسطُ قَلْبَ المكان/ تُحَدِّقُ في كُلِّ الاتجاهات، وتنسى أنَّكَ كُنتَ حَيّاً، وأنَّ المدينةَ ذاهِبة.

إكتِمال

تَتَشاغَلُ عن سَماءِ الأديم؛ تَتشاغَلُ عن لُجَّةِ الأمرِ.. سفينتُكَ في الرياحِ المُنَارَةِ؛/ ربما كُنتَ عاطلاً عن السرِّ: الزُجاجاتُ والأَهِلَّةُ والمُدُن..ربما البحرُ أيضاً؛ (ولكنَّهُ البحرُ خاصَّتُك)/ عندمـا تنعطـفُ فـي زُقـاقٍ مـا، أو تَتوحدُ فـي ظِلِّكَ الصيفيّ؛ بعضُ العلاماتِ مَوسومَةٌ في الطريق: أنت/ المدينةُ/ الناسُ يَسْـرُون..، ولكـنَّ المدينـةَ قابعـةٌ فـي البحـرِ، وأنـتَ قابعٌ في الزُّجاجةِ، والزُّجاجةُ مَرمِيَّةٌ في سماءٍ، تَعكسُ البحر.

كتابة، رُبّما..

ما مَعنى أَنْ تُصبحَ الأشـياءُ صَمَّاءَ حَدَّ الجُنون../ أنْ تُصبحَ الكلماتُ بَعضَ أَتْرَابِها..

لـمْ تَكُـنْ الواجهـاتُ اقـلَّ صَرَامةً؛ ما كانتِ الأرضُ - بعدَ أنْ أَفرَغتْ نِصفَها البَرّي -، سوى إلماعَةٍ للبلادِ البعيدةِ عن هواءِ البلاد؛

يـا ليتـكَ الآن تَذكُـرُ؛ يـومَ أنْ كُنـتَ مَيتاً، و (سـاحةُ التحرير) شيءٌ من رُكامِ الحقيقةِ، وتلكَ المدينةُ التي تَعرِفُ ، لمْ تَكُنْ مَعروفةً -

إلاّ لأَتْرابِها..

دَعوَة..*

كُنّـا ضُيُوفـاً فـي (دَارةِ الصيـف)؛/ كانَ الـرّواقُ يُفضـي إلـى الباحـةِ، والعُتْمَـةُ تُفضـي إلـى نهرِها؛ الطّلاءُ الغَريبُ في صالةِ للجُّلوس يُحَرّكُ الجَسَد، وخَلفَ البيوتِ تَمتدُّ المسافات..

العَرَبـةُ الواقفـةُ التـي ظَلَّـتْ فـي الطريقِ، ظَلَّـتْ تُضيءُ طويلاً مَصابيحَها اللاهِثَة.

* مَجزوءة، دائماً..

تَنافُذ*

..حَبيبتي.. عندما كانَ القبرُ صغيراً، وكانَ الهواءُ القديمُ مُكَدَّساً على صَدغِكِ،..عندما كانتِ الأرضُ تَلفَحُ الريحَ؛ وذكرى الحياةِ التي لمْ تَستَطِلْ، تَندَى على شَجَرِ المسافةِ؛/ عندما كُنتِ كالجُمجمة، وكنتُ (أضحكُ) فوقَ ظِلِّ الجدار../

الزُرقَةُ المُذابَةُ للبحر؛ والهواءُ الأخيرُ؛ وذكرى الحياةِ التي لمْ تَستَطِلْ؛ كي نُضيءَ البدايةَ، ونَدَّعي – كالمساءِ –..

الحياة..(8)

---

* أو: ذكريات مشتركة..

قُصُور

أقلُّ من النهرِ حَقّاً..من شُحوبِ المياهِ على الماءِ والجُثّةِ.. بين دارِ الحِرابِ على شُرفَةٍ، نَسَتْ أن تَكوُنَ كبيرةً بما يَتَّسِع، لانطواءِ الظّلام؛

كثيرونَ هُمْ؛ بَعضُهُم كانَ يوماً هُنا، بَعضُهُم ظَلَّ يرتدي جُنَّةً مِن وردةِ الصُّوفِ، بَعضُهُم كانَ يَمَّحي لانطفاءِ المدينةِ..

لَنا أنْ نَحكُمَ أَنَّ العَرَباتِ التي لمْ تَدخُلِ النهرَ، لم تَنتظرْ بما يكفي؛ لَنا أنْ نُفَكِّرَ أَنَّ المَدى، في سَكْرَةِ النهرِ؛/ دارةٌ للأَنَام..

تَشَبُّث

على الغُبارِ العَجيبِ، تَكَدَّسـتِ المسـارحُ، تَكَدَّسَتِ القاعاتُ، والمسـافاتُ التـي كانَ يَحسـبُ العابـرُ اجتيازَهـا/ تَنَاهت إلى النهر، صيحاتُ صَمْتِه..

..هَـلْ إنَّـهُ الزَّمـن، مـا تُحَشِّـدُهُ الدقائـقُ..؟ هلْ هـيَ العرباتُ فارغةً؛ تلكَ التي نَرتادُها.. أَمْ هيَ السنواتُ - تَنسَلُّ من خُيوطِ الثّيابِ إلى وردةٍ، تَتَلألأُ فيها الحياةُ، كما تتلألأ إغفاءَةٌ.. في المَرَاقِد؟..

مُغَالَبة

التَبْـغُ لـونُ الذَّهَـب، العُتمَـةُ مـاءُ الظَّـلام؛ سَـطحانِ يَسـيرانِ مُتَوازِيين، ويَلتَقيانِ في نُقطَةٍ؛ تَنحَلُّ المدينةُ بَعدَها، وتَسـتوي الكلماتُ فوقَ العُروش.

نُحـدِّقُ فـي الشّـمس؛ نُحـدِّقُ في صَيفِنا؛ نَسـتَنيرُ وراءَ حَدائقَ (غَائرةٍ)، ونَدخُلُ بُوقَ النَّهارِ مِن كُوَّةٍ، في مساءِ الوُجُوم..

نحـنُ أَسـلافُنا.. نَحـنُ أَضدادُنـا../ نَحلُـمُ كَـي نَعُودَ - كَما كُنّا -

غَامِرين..

غُنُوص

العَمَى التامّ../ عندما تَنطبقُ الظنونُ على الشّمس، وتَعرفُ أنّكَ مَوجود../ عندما تَتَّسِعُ الغرفةُ، لتصيرَ غاراً؛ وأنتَ تَدخُلُ قَطرَةً بَيضاءَ، تَقودُ إلى اللّون../ شارعٌ مُحطَّمٌ يَقودُ إلى المدينةِ، أو شارعٌ مُحطَّمٌ يَعودُ إلى ذاتِهِ؛ بلا جَسَدٍ؛ كلُّ شيءٍ جائزٌ: المدينةُ كامِلةٌ، والعينُ تَنطَبِق.

خَرْق

(1)

جَميلٌ هُوَ المَوت، أنْ تَربِطَ عينيكَ؛ هكذا!.. وأنْ تَحُطَّ وِثَاقاً على كُلّ شَيء.

الطريقةُ التي كُنتَ تُفكِّرُ بها، لمْ تَعُدْ نَافِلةً؛ الحقيقةُ التي خَطَّها الجدارُ لمْ تَنتظِرْ، ولمْ تَلتَمسْ ريحَ الهواءِ المُكَبَّلِ في يَدَيك.

خَرْق

(2)

تلكَ الرياحُ بهيجةٌ جِداً، حتّى أنّا نَسينا بعضَ المساءِ المُبَلَّلِ في ثنايا الغصون.

ثمّةَ لحظاتٌ؛ يكونُ الفرحُ فيها قريباً، جِدّاً؛ حتى انَّكَ يُمكنُ أن (تطرقَ البابَ)، أو تَلتقي - في يديكَ - المفاتيح..

بِشَارَة

- أَنت؟..

دخـلَ (الرّاهـبُ) فـي مُسُـوحِ الرّجـالِ؛ الكُـوَّةُ مُعتِمَـةٌ كالقَبْرِ، والريحُ مُقْمِرَةٌ بالظِّلالِ الأليفةِ..

فتحَ عينيه: البِشـارَةُ سـاطِعَةٌ/ سـماءٌ مُعْتِمَةٌ طَفَتْ في المدينةِ؛ بعضُ رجالٍ يَحمِلونَ آسـاً، وحفنةً من سِـلال؛ وظلُّ السياجِ مُشْبَعٌ في ضياءِ الأَبَد.

- تعال، تعال، أنا الربُّ أُناديك.

تكرار

تَتَلَّمُ العَجَلةُ وهيَ تَدُور، تُنيرُ مسافاتٍ مِن جِرارِ المساء..

أَنْ تَلتحِمَ القطـرةُ - بيـأْس - علـى صفحـةِ المـاء، أَنْ تَتكاثَرَ الأيامُ حتى تُصبحَ الكلماتُ مَحْضَ صَدًى؛

على لَوْحِ الزّجاجِ، تَنسـحِبُ قَطرَتان: آدمُ وحَوَّاء؛/ الخُضْرَةُ المُنْعكِسَـةُ مِـن الشـمس هـي المُـرُوج، والدقيقـةُ الهاربـةُ من الألتقاءِ هيَ الخَطيئة.

مُطْلَق، يُوسُف، كِتابة

كَما يَعترِفُ العابرُ الماءَ مِن جُبِّهِ؛ كَذا يَعترِفُ الشاعرُ الرَّقَائِقَ الصغيرةَ، مِن غَيَابَةِ الجُبّ.

قَـد لا يَكـوُنُ هُنـاك عابـرونَ لِيَعثَـرُوا، علـى تلـكَ الغَمائم في سماءِ القصيدة؛ ولكنَّ شمسَ اللّيالي القديمةِ، تَترُكُ شَيئاً مِن الأَيَّامِ، في فَجوَةِ الزَّمَن.

6

مُكَاشَفات، مُكَاشَفات../ خاتِمة

إِخلال

هذي الحياةُ تُكَلِّمُنا دُونَ حَقٍّ، وتَعرِفُ أَنّا غَريبونَ؛ وأنَّ الرُكَامَ المُخَلَّفَ مِن حافلاتِ المدينةِ يَملأُ ساحاتِنا، بينَ التّراب.

تَعرِفُ أَنّنا وَحدَنا، في هذهِ (الخَالِيَة)؛/ حيثُ المَرايا؛ والطريقةُ الأكثرُ غَرابَةً لتسجيلِ أَشلائنِا، على شَرَفِ الزّمان.

نِسيان، كأنَّما..

ضَيَاعُ البساتينِ في وَهْلَةٍ/ مَساءُ الغُبارِ على الطَّاوِلة؛/ تَرَى مِن خِلال الزُّجاجِ انعكاساتِها../ عندَمَا نَعتصرُ الحقيقةَ لا نَجِدْ غَيْرَ البَّقاء؛ وعندما نَنسى التَّنادي تُجَدِّدُ العُيونُ أَسمالَنا.

نَسينَا طويلاً (جَمَال الحياة)، وَظلَّ الغُبارُ مُكَبَّلاً على رِحلَةٍ تُشبِهُ الجَسَد.

مُتَابَعة

ليسَ البُعْدُ أَن تَكونَ قريباً، ولا أَن تكونَ وحيداً؛ (كالمدار)؛ أَن تَتَكَثَّرَ في مساءِ الحُجَيراتِ كالصمتِ، وترسُمَ شارعاً مُتْخَماً بالضياءِ والهَرَج.

كرنفالُ الأيامِ الأخيرةِ يستوطنُ العُتْمَةَ، ويَعرفُ طَمْيَ المسافاتِ الأخيرةِ في فَجوةِ النهر.

حِوار*

هـا أنـتَ: (جُثَّـةُ الآن)؛ هـا أنـتَ: مُنزَلَقُ المسـاءِ علـى وَهْلَةٍ، تَحمِلُ من غابةٍ للنّيون بَراعمَ تُشبهُ النهر.

هـا أنـتَ مُسْـتَوعَبٌ، في (غَفلـةِ المَجْدِ)، في نهاياتِ الطريقِ؛ حيثُ المياه؛ والوقوفُ على شارعٍ يُشبهُ الجَسد.

وكانَ الطريـقُ خُرافَـةً تَحتَـدُّ فـي بُرهَـةٍ، مثـلَ بَوَّابَـةٍ ، أو فَـراغٍ حَميم..

* ارتجال..؟

حِوار*

ماذا تُسابِقُ؛ أيّهَا المُزْدَهي بارتداءِ الثّيابِ إلى آخرِ النهرِ، أيها المُتَخَبِّطُ بِخَيطِ الأَثـاثِ.. المحاطُ بِنَثْرِكَ اليوميّ بينَ سَعْفِ المَنَالِ، وخَيبةِ القافِلة..؟

الشـوارعُ ذِي الشـوارعُ مـا كانـتْ لِمـا كانـتْ عَلَيْـه، والموتُ يُحْمِلُـكَ الضيـاءَ؛ وقطـرةً تَلتـفُّ فـي طفلةٍ، سـتعرفُ عُمرَهَا، عندما يُسْفِرُ هذا الترابُ عن شُرفَةٍ،/ تُشبِهُ الموت.

* مُكاشَفة..

حِوارٌ..(نِهائيّ)

ذاتَ يـوم، مِثْـلَ هـذا النهـار، سَـتَعرِفُ كيـفَ تَنتَهـي؛ شـارعاً كالطّاوِلَة؛/ كيفَ تَصيرُ غَلالَةَ الشّمس، كيفَ استشَفَّ الغُبارُ غُبارَ حِكمَتِهِ مِن دارِ حُبٍّ في مساءٍ أَخير.

نَحنُ نَعرِفُ بَعضَنا، أليسَ كذلك؟ ونَعرِفُ أَنَّ الشُّـجَيراتِ لا يمُكِنُ أن تَصيرَ مَعالِمَ مِن نَخيل. ليست الوحدةُ مُطْلَقاً شارعاً يَقُودُ إلى شارعٍ في الذّاكرة؛/ قَد تَكونُ صغيراً، ولكنَّكَ أَكبَرُ مِن تلكَ الهُنَيْهَةِ عندما كنتَ تَدخُلُ في ساحةٍ للمَرَاقي، على جَسَدِ الزمان.

حُب*

إرتَـدِي ثَوبَـكِ البُنّـيَّ، فَهْـوَ يُشـبِهُ الأرض، يـومَ يَقْطَـعُ الرّمـلُ أيّامَها.. أو ثَوبَكِ الأبيضَ؛ فالموتُ كالجِّنْسِ، كِلاهُما يأكُلانِ النهارَ مِن خِصْلَةِ الضوءِ..

هكـذا؛ حيـنَ نُغـادرُ الأرضَ؛/ لـنْ نَملُكَ مِن جُنَّةِ الشـمسِ/ غيرَ ضوءِ الخِزانَةِ، أو سماءِ الخريف..

---

* صباح..

حُب*

تَمَلْمَلَتْ في الفراشِ.

كان الصباحُ يُجَمِّدُ الضوءَ في زَهْرِ الستارةِ، فوقَ وَهْجِ السريرِ المُعَالَجِ بالشمسِ؛ فوقَ خيطِ السَّحابِ المُكَرَّسِ لانقضاءِ الخيوطِ على مَلْمَسٍ كالمساء.

كانتْ جميلةً وصامتة، وكانَ السريرُ مُكَدَّساً، وكانت الوردةُ فوقَ ماءِ القماش.

---

* نهار..

صَلاة

ضوءُ الصَفصاف النافذةُ عيدُ لحظةٍ واحدةٍ من فراغِ الفراغ عبرَ الأَصيصِ المُمَجَّدِ بشرقِ الحياة وانتظارِ الزوايا في أماكنَ أبديةٍ علَّنا نبلوَ شيئاً من هجيرِ الأغاني في ظِلَّةٍ مُجَوَّفَةٍ وساكنةٍ تُعيدُ البهاءَ لِما حالَ لونُه وتدخلُ في ثنايا الدقائق صوبَ أحداقِنا المتدافعة في الجَمْع.

تنطبقُ العينانِ ويحدثُ أنَّ المشافي تَظَلُّ بيضاءَ والنوافذُ صامتةً والشعوبُ مُهاجِرةً في الدقائق (...) شأنَ الأديمِ المُكَدَّسِ في جِرارٍ تَرقُبُ الكَشْفَ عن لونِها خلفَ ماء الأساطير.

((عندما كُنتَ تَهتزُّ في الباصِ المُرَجْرَجِ صَوْبَ (الرشيد)، كان الغروبُ وراءَ نافذةِ الباص المقعرِ يجلو بألوانٍ شَتّى هباءَ المساءِ والظهيرة، رغمَ اكتظاظِ العيونِ، ورحلةِ الشمسِ صوب أسمائِها، في كلِّ يومٍ وراء البَشَر..))[9]

خاتِمة*

حَزيناً، تَقاطَعَ الجسدُ مع الضّياء؛ تَمَشَّتِ الكلماتُ واستَقَلَّ الغَمَام.

تَوَزَّعَتِ المدينةُ في النَبْرِ، واضْمحَلَّتِ المَرايا، وسَادَ المساءُ غَريباً، مع كُلَّ خَطوةٍ مَوثُوقَةٍ إلى الزَبَد.

كلماتُ هذا الكتاب لَمْ تَكُنْ (جُنْحَةً)، ولَمْ تَتَّصِلْ لِتَرسُمَ شاهِداً مِن مَسقَطٍ غريبٍ؛ كلماتُ هذا الكتاب استَفَاقَتْ، فَوَجَدتْ نَفسَها على طاوِلَة، وعندما حَدَّقَتْ جَيّداً، لاحظتْ أنها لمْ تَكُن طاولة، بلْ قطرةً بيضاءَ مِن مياهِ الغُرُوب.

تَقَاطَعَ الزَّمَنُ وامَّحَتِ الأَحاجي، تَحَطَّمَتِ (الأشكالُ) وتَوقَّفَ الرُوحُ قَريباً مِن ثُقبِ التَّردّي الرَهيب، وهو يَجذبُ كُلَّ نَهرِ النهاياتِ صَوبَه.

نَحنُ لا نَعرفُ أسماءَنا إلاّ عندما نَصْطَفيها عن كُلّ ما جَعَلَ المَدى صُدفةً ، نَحنُ لا نَعرفُ المُدُن، ونَسقطُ في جُبِّ أسرارِها، إلاّ بما يَستَثيرُ النهايةَ في المرايا، ويَجعَلُ مِن قَطرةٍ نافِلَةٍ - مِثلَ ماءِ الغُروب - مساءً، لمدينةِ الكلماتِ التي لم تَصِل.

ها هيَ الكلماتُ تَصْطفُّ ثانيةً، لتَرسُمَ مِن خِلال الفراغاتِ وَجهاً، وعندما يَنتبهُ الوحيدُ إلى وجهِهِ، يَجِدْ أنَّهُ لمْ يَكُنْ واحداً، بلْ كانَ كُلَّ وَجهٍ، كما كانَ لا أَحَد.

---

* استهلال.

هوامش

1- بعض الأماكن المشار إليها في هذا الكتاب قد لا تكون معروفة كأماكن بالنسبة لمن لا يسكن بغداد أو العراق، لذا أشير إليها هنا باقتضاب منعاً للالتباس، علماً إنها جميعاً تقع في بغداد:

(الثورة): مدينة مكتظة بالسكان الفقراء/ (الرشيد): شارع تجاري قديم/ (أبو نؤاس): شارع محاذٍ للنهر/ (الميدان): ساحة مركزية قديمة/ (ساحة التحرير): ساحة مركزية فيها (نصب التحرير) الشهير/ (الكاظمية): منطقة دينية وسكنية/ (الطيران): ساحة فيها جدارية معروفة/ (باب المعظم): منطقة مركزية/ (مدينة الطب): مستشفى رئيسي/ (كراج العلاوي): مرآب رئيسي لنقل المسافرين/ (بغداد الجديدة): منطقة سكنية.

2- دانتي: الجحيم: الأنشودة الثانية عشر، أو أنشودة (القناطس). وهي أنشودة من ارتكبوا العنف ضد الناس، ويعذبون في نهر تغلي فيه الدماء (في الجحيم، صور حشود العراة تعذب بأشكال شتى، كل حسب خطيئته).

القنطروس (CENTAURUS): كائن خرافي نصفه رجل ونصفه حصان، وهو رمز للعنف والغضب.

من ملخص الأنشودة (للمترجم حسن عثمان، الجحيم، ص203): [[...ورأى دانتي سَيلاً من القناطس مسلحاً بالسهام، وصاح احدهما يستوقف الشاعرين مهدداً إياهما بإطلاق سهمه، فقال فرجيليو أنهما سيتحدثان إلى كيرون كبير القناطس. وكانت هذه تدور حول نهر الدماء بالألوف ، وتضرب بسهامها من يعلو من المعذبين خارج الدم أكثر مما تستحقه خطيئته . لاحظ كيرون أثر خطوات دانتي على الصخور وتحركها عند سيره، ولفت نظر رفاقه إلى هذه الظاهرة، فأوضح له فرجيليو أن دانتي إنسان حي، وأنه يأتي هنا للضرورة لا للمتعة، وأنه ليس لصاً آثماً. أمر كيرون القنطروس نيسوس أن يكون دليلهما في عبور نهر الدماء. ورأى دانتي الطغاة الذين غرقوا في الدم حتى عيونهم، وشهد القتلة الذين غطسوا حتى حناجرهم، وبالتدريج ظهر من نهر الدم بعض المعذبين حتى صدورهم لخفة آثامهم. وعبر نيسوس بالشاعرين نهر الدم في أقل مواضعه عمقاً، ثم عاد من حيث أتى إلى رفاقه القناطس]].

3- فرانتشيسكا دا ريميني، من أشهر شخصيات دانتي.

((الجحيم: الأنشودة الخامسة (أو أنشودة فرانتشيسكا دا ريميني)).

من ملخص الأنشودة (للمترجم حسن عثمان، الجحيم، ص127): [[...وسمع دانتي عويل الآثمين الذين غلّبوا العاطفة على العقل في أثناء الحياة، وعقابهم أن تدور بهم عاصفة هوجاء، دون أمل في راحة أو في أن تخف عنهم حدة

الألم. وأشار فرجيليو إلى بعض المعذبين مثل سميراميس وهيلانة وكليوباترا وتريستانو. ثم رأى دانتي اثنين يذهبان معاً، وقد ترفقت بهما العاصفة، وهما فرانتشيسكا دا ريميني وباولو مالاتستا. دعاهما دانتي باسم الحب أن يقدما عليه، فلبيا النداء في شوق ولهفة، كفرخي حمام ناداهما الهيام إلى عش الحبيب. أبدى دانتي تعاطفه مع هذين الآثمين، فبادلته فرانتشيسكا ذلك العطف، وتمنت أن تكون صلاتها عند الله مقبولة من اجل سلامه. قالت فرانتشيسكا إن باولو أحبها فلم تستطع أن تبادله حباً بحب، وان الحب قادهما معاً إلى موت واحد...]].

للمزيد: الجحيم، الأنشودة الخامسة.

4- شارع رئيسي في مدينة الثورة.

5- إحدى الحانات التي كانت موجودة على شارع (أبو نؤاس).

6- مقطع:

أن تكُونَ هنا
وأن تَعود من (الفُلْك)
أن تلاقيَ نَفْسَك
بين (وادي السلام)
وبريّةٍ تُشبهُ الأرض
قبل أن ينتبه (عبد الكريم)..

7- قصيدة:

هل تَذكرُ ذلك الخان
الذي كان في قطرةِ المطر
يومَ حَملتَ الجِمالَ والسّماء
والتقيتَ بالعيونِ الوحيدة
في مَحالٍّ علاها التراب
في مُحالٍ علاهُ التراب..

8- حكمة: التابوت..كوخٌ بلا نوافذ.

9- تناصّ: "دائماً هنالك ريح..ودائماً الرّوح عالِقَة.."

(عن حديث عادي بلهجة شعبية بين شخصين في شارع. عن سبتايتل في قناة تلفزيونية).

الوجود هُنا

الوجود هُنا

1

تداخُل

إقتراب

رغم رَشَاش الماءِ
الواضعِ وردتَهُ
رغم عيون الأَيكِ المتلألئ:
الماءُ النافرُ
في زمن الخطوات
يعود..

هل نملكُ يوماً أسرارَ مَجَنَّتنا؟
هل نعرفُ كيف تمطتْ فينا الأعوام..
ودارَ الشيبُ
على كأس الساحر والراعي
والتمسَ المرفأَ، في صيحةِ شيبتنا؟

بين النهرِ، وأيامِ الشاطئ
ظلتْ أيامُ الأشجارِ بنا..
لم نجلس فوق جسور الشهداءِ كثيراً
لم نَعبر حتى
بل عبرتْ فينا الأعوامُ
إلى ليلٍ آخر..

لا تتقلبْ في الليل كثيراً..
لا تتفرسْ بالأمرِ
أو النهر
ولا حتى بالقبر..
لا ترسلْ شيئاً لنجوم الأحلام
فغداً، عصفٌ آخر
يدخلُ من نافلةِ الشباك
ليحددَ وِجهتَنا..

2006

مساء

أماسٍ كثيرةٌ
عبرتْ قبلَ هذا المساء
زجاجٌ كثيرٌ
مرّ من هذه النافذة..

العماراتُ القديمةُ
في شارع (السعدون)
تفتحُ الماءَ والبحر
(عندما لا تكون الخطى
سوى موجةٍ في سديم..)

قد تكون الكراجاتُ اقلَّ انشغالاً
- في زوايا عشّش الضوءُ فيها -
الراكبونَ إلى صمتِ أيامهم
يَحمِلون أسرارَهم مجزأةً
في ثنايا العباءات..
وحدهُ الموجُ يبقى:
ازرقَ
نافقاً
ككلّ أشياءِ من سافروا
وظلتْ عباءاتُهم طافيةً على الماء..

2007

تماثُل

إلى علي عبد الله

في الرصيفِ المؤَدي إلى الشاي
في زُحمةِ المقهى
في الهواءِ اللطيفِ:
مُبَرِّدةٌ مهجورةٌ عالية..

تُرى
كيفَ استكانَ الموتُ فيك
يا (علي)؟
أيُّ رصاصةٍ حملتْكَ
من صيف العراق الكثّ
للعتمةِ الرطبة؟

كنتَ الوحيدَ في (قنبر علي)
تلعبُ الشطرنجَ
بين الشمس والظل
وتنسى الزمانَ الذي
شدَّ المساءَ إلى
رُقعة الحرب..

دعْ عنك بيريَّتَك*
دعْ عنك صيفَ العراقِ الكثّ
دعْ عنك وجهَ الرطوبة
ولنلعب الشطرنجَ أيضاً:
ميّتٌ له ألفُ قطعةٍ في الظلام
وحيٌّ له صيفُ العراق
سنحدّدُ الألوانَ يوماً..

---

* القبعة العسكرية.

2006

البياض السحيق

إلى محمود البريكان*

تُرى، هل راودتكَ الظنون؟
هل ساورتكَ المخاوفُ
فارهةً..
هل مشيتَ الطريقَ الذي يمتدّ
بين البياض السحيقِ
و قارورةِ الانتظار؟..

هذه الأرضُ ما زالت
- كما عرفتْكَ - مجروحةً
وهذا النزيف يهوي
و يغمرُ في الطمْي أشكالَها..
ويرفع سبّابةً، فوق إغماضةِ الحالمين..

قد يكون لقبركَ وجهٌ
غير ما ألفتْهُ القبور،
قد يكون الترابُ على صدغيكَ
رطباً..

---

* يقول البريكان: اكتبُ حتى تجفّ العروق، وأبصرُ هاوية الصفحات الأخيرة فاغرةً، وأمامي يمتد تيهُ البياضِ السحيق.

وقد تكون الحقيقةُ
محضَ عظام ..

(ستمسح بغدادُ أوجاعَها في الشتاء
ولسوف تبكي العجائزُ
- في دورة الموتِ - أولادَهنّ..
ولسوف تقضي العيونُ دمعاً..)

تُرى، هل زوّدَ الحلمُ قبرَك
ما لم تجدْ ها هنا في الحياة؟؟!

2006

حَنين

في عمق التُربةِ
في العشبِ المنسيِّ
وراء خطوط التربةِ
وراء الكوخِ المنسي
على عمق الغربةِ في التُربة

عاصفةٌ تأتي من مُنعطف النهر
وتغمرُ أبنيةَ (الميدان)
العصفورُ المتقلّب فوقَ فنادقها
تنْسُلُه الريح..

كنتَ وحيداً في ذَهبِ القُبّة:
(المطرُ الفصليُ يمرُّ على ثُقبِ الفتحة
وأنت هواءُ الروح المنسي
على شَرفِ المرقَد..)

علامَ تريدُ الموت؟
تريد العَوْدَ إلى التربة؟
تريد الماءَ المنسيّ
وراءَ عيونٍ نائمةٍ

بين فنادقَ تغمرها الريحُ
وقبابٍ يتبعها الأَتباع..؟

(خلفَ زُجاج الرغبة
غصنٌ اخضر
ما زال، ورغم صليل جميعِ الكلماتِ المبتلّةِ
ينمو..)

2006

2

أماكن

تفكُّك

أو: جولة مسائية في شوارع الكاظمية

في الواجهاتِ المضيئة
حيث تنساخُ الوجوه
إلى فَضْوةٍ للروح، خالدةٍ
دائماً..

العالمُ صارمٌ، وتام
ناقصٌ أبداً..
متّجهٌ إلى حيث لا ندري

أنتَ في الرابعةِ والأربعين
يا للغرابة!..

(الفتياتُ الجميلات
ما زلن يقطعنَ الدروب
جميلاتٍ، كآلهة..

والفسحةُ من مرقدِ الأمام
إلى زُحمةِ الساحات
تحمِلُ ألوانَها..)

ربيعٌ مضى، أم انّه الشتاء؟
وهذا غسقٌ يجددُ أضواءَه،
من البساتين القريبة
ريحٌ تقبّل نداوةَ الأرض..

وجوهٌ صارمةٌ لأشياخٍ موتى
معلقةٌ في زُحمة المركبات
وجوه مفككةٌ بحُكم وجودها
خارجَ الزمن، داخل الزمن.

خمس عشرةَ دقيقةً أخرى
تكفي لكي تجلس
في فِناءِ هذه المقهى
داخلاً في اللاجدوى
مكتملاً في هبائك الكوني
كرعشةٍ في دخان الأركيلات.

2006

سَكيْنة

..جولة مسائية في شارع النهر..

يهبط الترابُ في فضاء الكلام..
الهواءُ جميلٌ، والسقوفُ ضاويةٌ
تقاطعُ شُبّاكٍ، في فضاء الخُطى
يرسمُ سبّابةً في السحاب..

أنت تعبرُ، من فضوةٍ في
شارع النهرِ
للنهر..
للسقوفِ المضيئة، في باحةٍ
(للسراي)، للعشبِ - في صمتكَ الكونيّ -
ذاوٍ..

(تمرّ الحماماتُ فوق السطوح..
والوجوهُ القديمةُ جامدةٌ
في كوّةٍ من مساء المتاحفِ
في عُتْمةٍ، تصولُ على شمسها
لتستبقَ الظلام..)

جميلٌ هو الكون

لو صَبَتْ برهةً في يديه الرؤى

لو أسلمتْ نفسَها

- في مساء التهاويل -

إطراقةٌ في الأَنام..

2006

ثمانينات

.. ذكريات قديمة في شارع أبي نؤاس..

في ليل حدائقهِ

في ليل حدائقهِ..

(والماءُ يمرّ كواثرَ من أَثَلٍ

في أثلٍ - ماء)

في النظَراتِ، وفي الكأسِ

وفي ثقلِ يديه المتراخيتينِ، رُويداً..

أنوارٌ، وقناديلُ، وأعوامٌ ضائعةٌ

(أعوامٌ، لو كان الحجرُ المستوحدُ في الدرب

يُعرّفُها، لارتعدتْ..)

أَذكُرُ:

رايةَ رجلٍ خضراءَ تطوفُ على الليل

وراءَ المدن المنسية

في ليلِ حدائقهِ

في ليلِ حدائقها

....

....

....

والحرب.

جُنوح

أو: مساء ربيعي في ساحة عامة

امرأةٌ وقفتْ
في زاويةِ الساحة
بأظافرَ مصبوغة
وَيدينِ تشرَّبها الحزنُ
(كان الرجلُ الواقفُ في العتمة
يرقُبها..)

في آذار، تهبُّ الريحُ مُطامنةً، خضراء
تمرُّ على الخَلْقِ، رُويداً..

الصِبْيَةُ أعوادٌ
جُمِّعتِ الآن، على مَهَلٍ..

الليلُ يدبُّ
- يراقبهُ الشاعرُ -

(كان الفُلْكُ بزاويةِ الساحةِ يغرقْ
واللهُ يُراقبُ أُمَّتَهُ الخرساء
ويغمرُها..).

1998

الشارع

هذا الشارعُ
هذا الشيءُ المسكونْ
هذا الكَلَمُ المُمتَدُّ
من الريحِ المسكونةِ

صباحاً،
سيكونُ هو الشارعُ،
في كلِّ الخطواتِ المدفوعة
فيه..إليه
ومساءً
ستراهُ الضائعَ..

لكنّ الليلَ
- بما يحملُ من شايٍ أو مطرٍ-
سيعيدُ الشارعَ
ما كان عليه:
زَبَداً
في جسدٍ مسكون..

2007

مساء قديم في مدينة الحِلّة

بين سطحِ البنايةِ
والشارعِ الغامضِ
بين الجسور..
هواءٌ تَكوَّرَ
حتى أضاءَ على العارضِ..

زجاجُ المحلاتِ بئرٌ قديم..
ونَبْرُ المساءِ
تطامنَ حتى استوى
على كل خَلقٍ، وراءَ الأديم..

أكانتْ مدينةَ حُلمٍ حميم؟..
أكانتْ حقيقة؟
أكان الجنودُ يسيرونَ حقّا
إزاءَ المقاهي
وموتٍ ترقّى
حُشاشةَ أحلامِهم في المساء؟
....
أكانَ الرّدى
يلتقي بالمساء؟؟!

2007

طريق خارجي

في زاويةِ الساحةِ
تزدحمُ العربات

(العاملُ)، في واجهةِ المطعم
يدنو
ويهشُّ ذبابَ اللحمِ
عن الفوم..

الشمسُ، بآخرةِ الأفقِ
تهيأُ مخدعَها
وطنينٌ أغبرَ، ينمو
يقطعهُ صوتُ العربات العجلى
في العصرِ (لبغداد..)

مرتَفعٌ، في الجهةِ الأخرى
يرسمهُ الليل
لا يعرفُ احدٌ
إن كان دماملَ
أو سُدُماً
أو مُدناً دارسةً..

ذكرى الدخول إلى حانة

الغرابةُ المتشحةُ بفيضِ قميصٍ موشّى بالمساء،

الحجَرُ عند النبع الأكثر عزلة.. حتى نكوصِ الحجارة!

رجلٌ وحيدٌ وصامت يعبر المنعطفات؛ شارعُ (السعدون) أزرق، المصابيحُ تُعلنُ تَلَف المساء لرحلةِ عُمْرٍ حائلة؛ رجلٌ من الخمر، من ابيضاضِ العاج، من ملابسَ مهجورةٍ لعقود في حوانيت مقفلة، يدخلُ (الجرّة الذهبية) لفضاءٍ متاخم، حيث تصبح الخطى افتراضاً عائماً على عَتَبة، على دَكّةٍ للزهور ملاصقةٍ لزجاج البار.

وكمِثْلٍ وحيدٍ يتدافع في كلماتٍ تصبح أشياءً، كان يستبدل حذاءَه البالية بأخرى جديدة.

صورة قديمة من النجف

البيتُ المضيءُ في النجف، الأشكالُ البشريةُ في ثنايا اللحظة، في (ساحة الثورة)، أو في منافيَ النهر..

في الأعماق السحيقةِ لوجودٍ أدنى: الترابُ يتوسدُ الشواهد، الأضاءاتُ الغريبةُ لقبابٍ تنمو، عندما يتفتحُ الليلُ عن المراقد..العيونُ الزاخرةُ في الزمان، وانكساراتُ وجهٍ قريبٍ على مرايا الاصطفاف..

أنت تحلمُ أن تكونَ وحيداً، وان تتخذَ المساءَ انطواءً على السطوح في أبهاءِ العوائل، في الأفنيةِ حيث تُقامُ **الأيام**، أو في **البقايا** حيث يتجسدُ الكلُّ في غفلةٍ، لا تَعود معنىً، ما إن تُدرَك.

3

تجريد؟

أبدية

(1)

صالةُ العمليات
الأجيالُ السابقة
طاولةُ التشريح
السيوف
الخيول
المآذن

ونحن هنا
على الطاولةِ ذاتها
- كما هو الأمرُ دَوماً -
عراةٌ
مع الأبد.

1998

أبدية

(2)

هل يُشبهُ هذا

(آدم):

الليلةُ في الجينـز..

الفجرُ على سُفنٍ نائمةٍ؟..

2000

إدراك

(1)

تشوشٌ في العمق،

إدراك:

الريحُ العاصفة

والصديقُ الذي أصبح:

الزجاجَ والمنضدة -

(وأنـت تدخـلُ هـذا العالـم لتخـرجَ منـه

كمـا كنـتَ، فارغـاً، سـوى مـن البـاب

الـذي اعترضتَـهُ - والـذي ظـل فارغاً..)

إدراك

(2)

عندما يتوقفُ كلُّ شيء، تبدأُ الحركة
هكذا قالتْ الأغنية:
المداراتُ الجميلة تتفتحُ في جفافِ النخاع.

فيلم سينمائي قديم

بالأسودِ والأبيض
يلتحمُ الموتى، بالشاشات
وبالأسودِ والأبيض
يُملي الموتُ مفاتنَه..
بالأسودِ:
قد تجدُ الليل
وقد تجدُ الكلماتِ القتلى
في ذاكرةِ الليل..
وبالأبيضِ:
قد تجدُ المصباحَ المـُفضي
لطريقٍ
في مَفرِقٍ غائلةٍ..
ولكن
بالأسودِ والأبيض:
ستحدقُ في وجهِ مُمثّلةٍ
كجميع الأشياء
ذَوتْ
من ذاكرةِ الليل
ومن ذاكرةِ الضوء.

2007

ليلة ممطرة

الشيخُ
تُبللهُ الورقةْ:
الثوبُ الأسودُ
عينانِ سراجان..

في زاوية العتمةِ، يدهُ
تبحثُ في عَجَلٍ، عن شيء تكسرهُ:
والعينُ لها شكلُ القاربِ
والكفُّ لها شكلُ الشَفقة.

غروب

أو: سفرة مدرسية إلى موقع آثاري

قَطْرٌ ابيض
آلهةٌ سمراءْ
بلادٌ
آلهةٌ أخرى
وثنٌ
زمنٌ آخرَ
زَبَدٌ..
....
(تنتظرُ العربات
تعودُ التلميذات)
....
صباحٌ
آخرَ
محترقٌ
وثنٌ
آلهةٌ بيضاء
بلادٌ
آلهةٌ أخرى.

1998

أَرَق

ما زال الليلُ غريباً:
(حجَرُ الحُمرةِ
يطحنُ أورادَ الليل..
والليلُ يفرّخُ أَنجمَهُ..)

تجدينَ العزلةَ:
النومَ على هَودجِ غادين،
تبدّتْ كلُ الأسماء
بحضرتهم..

(الله اكبر)
ذاك أذانٌ آخر..

ما زالتْ كفّكِ غائبةً:
(تمنحُ كلَّ الأشياءِ نعومتَها
....
....
....
سوى النوم).

توعّك

أو: بقايا أحلام من الليل الفائت

الملمسُ البارد
لصُنبور المياه
الحركةُ الإضافيةُ
التي يكتسبها الجسد
انهُ الصباح:
الأحداقُ تبرزُ قليلاً
والجفونُ تتسع/
مراكبٌ من الليل تطفو
على بُعد خطواتٍ من النافذة
(إنفراجاتٌ لوجهٍ يبتسم)
السفنُ الحمراء، العائمةُ في الزَبَد
على جدران الغرفة
والجدرانُ المخربشةُ دونما بياض
....
....
....
حكايا.

(.........)*

اللحظةُ
مثلَ شراعٍ أخضرَ
مائلةٌ..
....
....
....
لو أنّ اللحظةَ
لو أن الهدأةَ
لو أن الصرخاتِ المضغوطةَ في (micro -ذاكرةٍ)..
....
....
....
اللحظةُ
مثلَ شراعٍ أخضرَ:
مائلةٌ
في البحر..

* تمنٍّ؟.

2000

صورة العالم

المساحيقُ
على دكّةِ الوقت..
(النساءُ بلا بُروج)
العظام..
الرياح..
ماءٌ على حجرٍ
حجرٌ على انتهاء..

ومَن على البروج؟
مَن على دكّةِ الخشب - النساء؟
ثقوبُ الهواء، ستكونُ حَتماً:
كلَّ هذي العظام..
النساء..
المساحيق..
مياهً على حَجَرٍ
حجراً على سيّماء..

(.........)*

كلُّ شيء؟:
رجلٌ يدخل في شارع ضيقٍ، يدلُّ على فُسحةٍ محددّة:
في ساحةِ (الطيران) تتقاطعُ النهارات، الرؤى، كثافةُ الشمس؛
جداريـةٌ تعلـو- كمشـيمةٍ - لاتحـادٍ مؤجَّـل. يتجـهُ إلى زاوية
زرقـاء:
(حيث يُرفعُ الأذانُ تتوقف الغيومُ لبرهةٍ قصيرة). هل انقضتْ
نصفُ سـاعةٍ؟ سـاعةٌ؟ على ذلك المفترض أن يكونَ حتماً:
ألواحُ الخشب/ السقّالات/ الأرصفةُ/ الغيوم..؟
رجلٌ وحيدٌ يحمل وطأةَ الجسـد: خيطٌ طويلٌ يتقطّع ليتصلَ
ثانيةً، دونما سببٍ واضح..

---

* ..الزمان..دونما سبب..

العالَم واللغة

لو تهدُّ الكلام
لو تُلملمُ أجزاءَه
كعصفورةٍ، في ليلِ ريح ..

[بعيدونَ هُم، والبياضُ السحيقُ يحيطُ بهم. في شارعِ الوقتِ
كانـوا، وكانـتْ تُطِـلُّ عليهم، شُـجيراتُ آسٍ فـي غمرةِ الزمنِ
الوضيئة. بعضُهم ما زال حياً، في رُكام الكلام، وآخرونَ مرّوا،
من رصيفِ الدقائقِ، إلى دَوْحةٍ مع العُتْمِ ترقى..
(التلفازاتُ وحدها تمررُ الشمس: شاشاتُ الغيث..وشاشاتُ
الغَيْب..)
ترتجفُ الكأس، قبلَ أن تسقط من قبضةِ العابر، بين الموائدِ
في ساحة للسكون، العيونُ وحدها تُقيمُ العلاقاتِ، بين وَقْع
الكلام، وشمسِ اللُّقى..]

لو تلمُّ الكلام
لو تُعَمِّمُ أجزاءَه..
تُرى كيف يبدو،
من دَوْحةِ الأُفق،
ذاك الركام؟

2007

4

جُنوح

أعوام الغفلة

في تلك الأعوام
وَطأتَ الغفلة..

....

....

الغفلةُ: كيسٌ مفتوحٌ حتى الموت
على آخرهِ
الغفلةُ: عودُ ثقابٍ
لم يلمُسْ تَبغاً أبداً
الغفلةُ: كلُّ الأشياءِ التذهبُ
في كيسِ فراغاتِ الأشياء

....

وأنت الخاطئُ
- في تلك الأيام -
وطأتَ الأشياء..

2007

(.........)*

كلُّ ربيعٍ:
مبتدأُ الحبِ
ومُقتبَلُ الهبَّةِ..

....

....

(..الشاربُ في مَنبتِ وردتِهِ
والغيمُ على شَجر القارب..)

....

....

(كُنتَ على الموجةِ تمشي..)

....

....

من أبدلَ عينيكَ – النجمين
بهاتين؟.

---

* بلىَ؟.

2000

خِزانة

الدروبُ القديمةُ
مخبوءةٌ من سنين
مع البذلةِ العسكرية
(الحزنُ أيضاً..)

الخزانةُ كلبٌ!
قد يشدُّ الأصابعَ!!
إذ تكون الدروبُ
مع البذلةِ العسكرية
والحزنُ أيضاً..

1997

ذاكرة

في الشارع: ضوءٌ آخرَ
خلفَ شتاءِ الشارع..
(..تحلمُ هذي الكلماتُ إليك..)

لا بأس، فَتلكَ بساطيلُ الحرب
مصففةٌ في الضوءِ:
والضوءُ غريب..

(المتُحفُ خاوٍ
إلاّ من ليلِ بساطيلٍ نائمةٍ
في لوحِ زُجاج..).

2008

(.........)*

وأنتَ كثيراً تَذَّكِرُ الغيبةَ:
ما الغيبةُ؟؟
تسألني:
المرأةُ في المرأةِ
(والشارعُ في الشارعِ
والليلةُ في الليل..).

---

* مفارقة؟.

2000

قطيعة

ستجاملُني..
سوفَ تُريقُ الشايَ
وتجيءُ إلى نافذةٍ:
(- ما زالت تمُطر..)

وستسألُ:
- كيفَ طوافُكَ؟..
والأعوامُ الخمس؟..
ونجماك؟

سنكونُ بعيدَين:
يفصلنا السَيلُ، وأعوامٌ خمس
ومائدةٌ..

وسنسألُ:
كيف أضَعنا
- في عَنَتِ الأنواء -
..سماء؟!

عزوبة طويلة

أن تكونَ لك زوجةٌ
وأطفالٌ
أن تتخثرَ في كَثْرةِ الزمان
وتنسى النهرَ والأُحجية
والزمانَ الذي تكثّرَ في لوحات الغُرف
عندما كانت الشبابيكُ ربيعاً
لصدمةِ المتسولِ بـ(شَبّوي)* البيوت

أن تكون لك زوجةٌ
يعني أن تَقبلَ الشمس..
أن يكونَ لك أطفالٌ
يعني أن تَقبلَ الزمن،
وان تكونَ لك فُسحةٌ
من حدائقَ عامرةٍ:
يعني أن يتوقفَ الربيعُ على عتبتك
- يومَ أن لم تكُنْ قد صرتَ شيخاً بعد -
وعندما كانت المفاتيحُ تُفضي
إلى كلّ الحدائقِ
في كلّ البيوت..

2007

* نبات شذي الرائحة لاسيما في الربيع.

استدراك

الأيامُ السود
ليستْ سوداً..
(بين الوجهِ، ونافلة الجسرِ
مسافاتٌ..)

أنت تعودُ إلى الشارع
إلى ذاتِ الشاطئ..
للمقهى (ألواحِ زجاج)
أنت تفكر: كم كان الوقتُ
جميلاً
حين يلُفُّ غمامُ الضوء الهابط
دائرةَ الأجساد..

الأيامُ السود
ليست
غيرَ مسافاتِ الشاطئ عن وجهٍ
يحسبها سوداً..

2007

5

موت

احتضار

(1)

تحت الضوءِ
يشفُّ الضوء..
....
....
وجوهُ رجالٍ
خلفَ حديد الشُباك
وجودُ حدائقَ
ووجوهُ تقاسيم..
....
....
أتكونُ الجنةُ ناعمةً
مثلَ سرير دامٍ..؟
مثل حماماتِ المشفى..؟
مثل الشمسِ الترسمُ وردَتها
فوق وسائدَ داميةٍ..؟
....
....
خلف البابِ
تمرُّ جنازتُهُ..

الصرخاتُ المشتدَّةُ
خُلجانٌ،
والرَّجْعُ
مُروج..

2007

احتضار

(2)

هل تسمعُ هذي النُّعمى..
هل تشعرُ هذي اللمَسات
تمسُّ جَبينَك،
والضوءُ الخافتُ، من خَللِ الشُباك
يموت..؟

لا شيءَ هناك وراءَ الشُبّاك:
بعضُ رجالٍ، يغترفونَ النجمةَ
بعضُ نساءٍ، يَقْطِرْنَ التابوت..

2007

وَرم خبيث

وردتكِ البكماءْ
وردةُ هذا الداءْ
وردةُ أوحال العمر:
مشافٍ، غمرتْ في الشمس أسرّتَها..

(كان الدربُ إلى مشفى الكرخ غريباً..
يرسمُ كل هسيسَ الأعوام الزاهر
فيما خطوتُكِ تتوجهُ للموت..).

2000

مَوتي

إذن
هي النجفُ الجميلة..
عندما يحضنُ الحبُ بعنف
المطرَ والموت
وعندما
لا شيءَ يحدث:

القبابُ المذهّبة..
وحفارو القبور..
والرجلُ الوحيدُ الذي كُنْتَهُ
سيواريكَ في الأرض
بعد أن يرمي
فاسَه التي تُشبهُ فأسَك.

2000

قتلى

هذا الوردَ، تَرينَهْ؟

....

....

هل صفَّفتِ المخدع؟

هل لاحظتِ رسومَ الكون

على اللون؟

جرارٌ..

ونساءٌ..

ورسومٌ يتوسطها شكلٌ

يصعدُ فيه الإنسان

ولا يصعد..

....

....

....

هذا الحلمُ غريبٌ،

أتُرانا الكابوسَ أم الوردُ؟

أتُرانا نكشفُ - عند الصحو -

دِمانا في المخدع؟؟!

2007

(.........)*

رجلٌ فارغُ

امرأةٌ فارغةٌ

- نافذةُ البابِ مبلّلةٌ بالخمر -

تقولُ: احبكَ

- خشبُ الماء على المقبضِ يبكي -

رجلٌ دامٍ

امرأةٌ داميةٌ..

---

* لا وقت؟.

1999

ثلاثة أيام ممطرة

الثلاثاء، 12/ 2، مدينة الثورة:

- لم تأتِ بالأمس؟
- لم أكن على ما يرام، هل الشمسُ باردة؟
- توقعتكَ أن تأتِ..
- لا بأس، سنفعلُ كلَّ شيءٍ، غداً..

كراج العلاوي، المساءُ ذاتُـه:

كلُّ هـذا الضجيـج..كلُّ هـذا الرحيل..السـماءُ صافيـةٌ قليـلاً، نجـومٌ جديـدةٌ علـى الوحل..الصفيـحُ يدخـنُ الجنـود، لفّافةُ التبغ تسقط، صمتٌ، وبَعْد..؟

- لا خبرَ منه، سأسأل بائعَ الإسفنج.

السبت، 16/ 3، مدينةُ الشعلة:

- عليـكِ بتنظيـف الملابـس أيضـاً، قد تُمطر بعد قليل، وأنتِ ما تزالين شاردةَ الذهن. من لا يموت يوماً..؟

مستشفى اليرموك، المساءُ ذاتُه:

تلك العربةُ الفاخرة، تَقطعُ خطَّ البصر، ربمالم يدخلوا حتى الآن، المشفى باردٌ، بضعةُ أشخاص يدفعون نقّالةَ على بِلاطٍ بارد،..ربما لم يدخلوا بعد، قد تُجرى الجراحةُ اليوم..

الثورة، الثلاثاء، 19/ 3:

كلُّ هذا المطر..من الصعب، الحركةُ في الوحل.

النجف، المساء ذاته:

كلُّ هـذا المطر..

....

....

من الـ..صـ عـ ب..

ا..لـ..حـ...ركـ.......ـة...

....

فـ.........ي..

....

....

....

1998

6

وجود

البيتُ المنسي

تحت الشمس
تمرُّ الكلمات..
كلماتٌ نائيةٌ
- لأناسٍ ماتوا -
وما عادَ الوقتُ يداعب جبهتَهم..

لا ليلَ هناك
ولا شمس،
نحن نجيءُ، ندورُ، ونرحل
والشمسُ تحدق
في بيتٍ منسيٍّ
خلفَ دروب الأعوام،
تَؤولُ إليه الكلمات
ولا ترحل..

2007

غرفة الروح

غرفةٌ في الروح
مهجورةٌ
كأن شُبّاكَها، بلونِ الحجرْ
كأن الترابَ تكدّسَ فيها
حتى استمالَ إلى العُتْمِ
لونَ القمرْ..

غرفةٌ في الروح
هي كلُّ ما يبقى
إذا ما عشّشَ الوقتُ
تحت التراب
إذا ما استفاقَ الزمانُ البعيدُ
على صيحةٍ من نداء السفر..

لن يُنقصَ الوقتُ شيئاً
من سديم الأثاث
سوى ملاءَةٍ
تُشدُّ من ليلها
لنُبعثَ فيها
إلى حفرةٍ من قَدَر.

2007

غسق

دَعْ عنك الشارعَ..
ستمرُّ إلى تلك (الغابة)
حيث العرباتُ غصونٌ
والليلُ تهاويل..

كم سنةً
وأنتَ تمرُّ من الشارع..؟
كم وجهاً
مرَّ إليك من الزُحمة،
كم جسداً
عانقتَ وواريتْ..؟

ها أنتَ إذن
- في البدءِ كما البدءِ -
وحيدٌ..
حَسْبُكَ بابٌ
من خشبِ الخطوات
ستُطبقهُ عصراً
- حين تفرُّ الأضواء..-
وتدخلُ في شجرِ الموت
كما الموت..

2007

(.........)*

لا أنتَ، ونجمتُك المحمومة..
لا المرأةُ - حيث تشفُّ الأيامُ بلا شَجرٍ..-
لا الآخرُ: في مشفىً للقلب، وأوجاعِ الحرب..
لكلٍّ مِبضعُهُ:
نعتصرُ القطنَ،
ولا نجد الجرح..

* مصائر؟.

1999

مساء ممطر

سحابٌ سحاب..
وفوقَ السحابِ
تَبدّى الصدى..

كأنّا مع الفُلْك (نُوحا)
أيملكُ طيرٌ
أن يُعيذَ الغياب..؟
أيملكُ فيضٌ
سماءً تكوَّمتِ الآن قبلَ التراب؟..

(يُنادونَ اسمكَ:
سوف توصدُ البابَ أيضاً..

رذاذٌ شديدٌ على النافذة
وخلفَ الرذاذ
جموعٌ بوحشتِها لائذة.).

2007

الطريقُ إلى المعنى

النجومُ المكدَّسةُ في السَديم
القطراتُ المكدسةُ على وجهِ التراب

(القطراتُ
على وجه القُبّة
والقبّةُ نافرةٌ
تغسلها الأصقاعُ
ويَتبَعها الأَتباع..)

من زُقاقٍ مُعتمٍ إلى زقاق
تتعثرُ أقدامُك في الوحل
ومن حقيقةٍ إلى حقيقة
من جدارٍ إلى جدار:
هنالك دائماً هذه الفُسحة
الملوحةُ بالشمسِ ودونما سبب
المنفتحةُ على خطوطٍ شتى
لأَصقاعِ العالم..

أنت تبكي إزاءَ شُبّاكٍ فضّي
شُبّاكٍ من مَطرٍ

تقاسيمُ شتّى لشيءٍ واحد
ملايينُ الأصابع ترسمُ شكلاً
لوجودٍ هاربٍ مثَل رجلٍ يسيرُ في زقاق
تقودهُ الخطواتُ من حقيقةٍ إلى حقيقة
من حقيقةٍ إلى جدار
من جدارٍ إلى شيءٍ يُشبهُ
فُسحةً في هذا العالم
تتكدسُ عليها الأصابعُ والأيادي والوجوه
باحثةً عن معنىً ذهبي
لقبّةٍ مُغلقةٍ إسمُها العالم.

2008

الباب

عجباً
ما اغربَ هذا الباب..
تمرُّ إليه الكلماتْ
تمرُّ عليه الصلواتْ
تجيءُ إليهِ وفيهِ
تهاويلُ المعنى
والبابُ هو الباب:
صافٍ..
أمردَ..
عارٍ عن كل مُساءلةٍ..

أيكونُ البابُ خُرافتَنا..؟
ونحنُ الحمقى
ندخلُ فيه
نفتشُ في شَكلِ فَرادتهِ عن معنى..؟
نبحثُ في اسمِ البابِ
عن الباب؟؟!..

2006

الوجود هنا

(1)

قد تكونُ حزيناً
عندما تتوقفُ قُربَ النافذة
قد تكون كَما:
حمَّلتْكَ الأماسي أن تكون..
قد تفكرُ بالغَد: بالصباحِ الذي يأتي صغيراً
أو بالصليلِ الذي يلقاكَ في الليل..

للمقرَّبين منكَ
عيونٌ مختلفة،
لسُحناتهم - إذا ما أسفرَ الوقتُ -
لونُ الرمال
أو خُضرةُ الانشغال

(هناك
في المراعي البعيدة
وجودٌ - هو الحُلم
حيث يغشى المساءُ وجهَ النَّماء)

(هنالك

في المهاوي البعيدة

عيونٌ - لها العُتْم

حيث تغشى القبورُ وجهَ المساء)

ولكن هنا

- حيث ما زلتَ كالنافذة -

مُشرَعَاً لكلّ الاحتمالات

سترعى الصباح

الذي يأتي صغيراً

ستحملُ ألعابَهُ

بين ليلِ المراعي، ونارِ النشور.

2007

الوجود هنا

(2)

عندما تمُسكُ الملعقة

لتغترفَ شيئاً ثميناً مما تجاذبَتْهُ الحياة:

لقمةً أو سؤال..

عندما تنظرُ في البيوت

أو المسافاتِ الطويلةِ التي تمتد في النهر،

عندما تفكر:

كيف نرغبُ في الحياة

ونحن الحفاةُ على دَكّةٍ فَضَّةٍ هي الموت؟

عندما تتقدمُ لتلفظَ وجهَك:

مقاطعَ خمساً أو ملامحَ خمساً

(بينما تختزنُ المرايا مئاتِ البحار ممن

تناهت إلى دورةِ الوجهِ في ثوان..)

ومن ثم تسأل:

ثم ما..

..ذا؟!

غير أن هذا السؤال ينطوي على مُفارقة:

أن تكونَ غيرَ انعكاسِ السؤال

أن تُميطَ اللثامَ عن هاجسٍ واضحٍ

أن تثيرَ علاقةً للملاعق بالمرايا

وللبيوتِ بالنهر
أن تتمددَ طويلاً - كتلك المسافات البعيدة -
أنتَ من تحتلُ من فضاء العالم
بضعةَ أجزاءٍ في بضعةِ أسئلة.

2007

كتابة

(1)

ما أبعدَها
الورقةْ..
ما ابعدَ هذا الحتَّ
وما ابعد هذا
الطيفَ المتسلسلَ
للضوءِ من الغَوْر..

أنت تعودُ - منذ سنين -
لذاتِ الغرفة..
لذاتِ الدار المهجورةِ:
الماءُ، من التَّرْكِ الخلفيّ
يصبُّ
والليلُ يدبُّ على شجرِ الأسماءِ
ويغترفُ الماء..

فلتعلمْ
أنَّ الدربَ من الباحةِ للشارعِ
سيظلُّ الدرب..
وان النورَ من الثقب المتروكِ

سيظلُّ الماء..

وان الأعوامَ ستمضي..

وان الورقةْ

- هذي التكتبُ فيها أيامك -

ستظلُّ كما الـ..ورقة!

صامتةً..

مائلةً..

تعبرُ فيها الأيام

كما الماء من التَرْكِ الخلفي

كما الضوءِ من الغَوْر..

2006

كتابة

(2)

وما جدوى الكلام؟

....

....

هو الموتُ: يقضم الوقتَ

والدقائقُ ذاهلةٌ..

أنت تكتبُ:

هل تجدْ فُسحةً في الظلام؟

....

....

ولكنه الليلُ: ازرقَ

والمكامنُ غائرةٌ

وهذا الطريقُ الذي ينأى عن الدربِ يمتدّ

في هواء الفراديس..

....

....

الموتُ ازرقُ

والدروبُ التي تنمو على وَهْمِ الحقيقةِ

مُخضَرَّةٌ بالكلام..

2007

إشارات مُقتَرحة

إشارات مُقترَحة

كُتبتْ قصائد هذه المجموعة في عام 1999

1

يوميات

ضرورات

أجلسُ
أنحتُ شكلاً من خشبٍ، يُشبهني
أُقرؤُه العالَم..
أما (روحي)
فَمكابِرةٌ
ما زالت
في (اليَم)..

العالق

(لا تَعلقْ
كي لا تحزن..)
كان العالقُ في كل الأسئلةِ الكبرى
يوصي نفسَه..
الذاهب في كل الفلَوات
الذاهل في كل الكَبَوات..
عيناهُ دروبٌ للحزن
وللندم المرضيّ على زمنٍ
ما كان زماناً يوماً..
كل وصاياه قصاصاتٌ
ما عرفت للحاضر درباً -
لكن العالقَ، أكمل في السرّ
خرافتَه الخرساءُ:
(لا تعلقْ، كي لا تحزن
كُنْ ماءً
في جسدِ الماء..).

يوميات

الجسرُ الساهمُ:
خُضرتهُ..
وعيون البلّور- الماء
عائمةٌ، أقدام الأطفال على الجسر..

نأملُ، والشمس تغادرنا
أن سماءً أخرى
خلفَ بلاد الأحجار
تكوّرها الشمس..

للّحظةِ، غير الوجه الملعون
هواءٌ آخر..

للنهر يدانِ هما شَفَفُ الطفل
الفكرةُ: (كيف تجيء الفكرة)
كيف نشدُّ الوترَ الصامت
بين سماء الخمرِ، ونافذة القبر..
الفكرةُ:
كيف نعودُ إلى الماء
بلا فكرة..

حديث مسائي

كفّاكِ الممتلئانِ
على الساعة
ما هَمّ..؟..

عبْر الساحةِ، نلمَحهم:
سائق وقتٍ
شارع غارٍ
أو مطرٍ..

- هل جئتِ إلى الموعد أمسِ، أحقاً؟
وغداً، أيكون كما كنتِ، تجيئين؟

أحدهُم، في جسد الليلِ، يدبّ
والليل يدبُّ، على شجر العتمةِ، في مِثْل سماء:
في مِثْل سماءٍ
تكتملُ الساعةَ
صورتُك..

نساء

في زاوية الردهةِ
امرأةٌ
تنتظر الفجرَ
بأروقة الليل..

في مُنعطَف الطابقِ: نافذةٌ
ويدانِ ترُودان وليداً
تلتمسان الوجهَ الغاربَ
في سُحب النوم..

خافرةُ الطابق - جاهدةً - تهدأ..

وهناك، بآخرةِ المبنى
خلف سياجِ الآس وأقنيةِ الطين
نساءٌ، بعيونٍ ساكنةٍ:
واحدةٌ صمّاءَ - مع الفجر مُمدّدةٌ
والأخرى فاغرةٌ
بين سماء الموت
وطاولةِ التشريح.

2

إشارات مقترَحة

الحمّى المسمّاة حياة

(إدغار ألن بو)

(.........)*

قطراتٌ بيضاء..
من مُنعطف (السعدون) **
إلى شجر الجُمَّةِ
تحملهُ قدماه..

أعواماً كان هنا
في وَهَج الغُمَّة..
في الإسفلت المتشققِ
في البارِ المهجور - تُجرّدهُ عيناه..

قطراتٌ بيضاءَ
وصمتٌ أبيضْ
والكلماتُ الغبراء تدور:
من الزمن المَحكيِّ
إلى الزمن الحاكي..

---

* مطر؟.
** السعدون: شارع في بغداد.

(.........)*

ليس لها - والبحرُ يناجزُها الموجَ -

سوى

أن تهجعَ في جُزُر الغَيبة

....

امرأةٌ زورقها الخيبة..

---

* نكوص؟.

(.........)*

(البَغْيُ)، بناصيةِ الشارعِ

ترمقني:

الوجهُ الفاجعُ

والسحُبُ الزرقاء..

البَغْيُ، بناصيةِ الشارع، تدنو

(فيما أرحلُ - مُنكفئاً - عبرَ دخان

العرباتِ الخانقِ، في وجه امرأةٍ

لم تأتِ..).

---

* تلوّث؟.

*(.........)

أتكون المرأةُ؟
أتكون الرغبةُ؟
أتكون الغفلةُ في جسدٍ، حُمّى؟
أتكون الحُمّى؟

....

(كلّ صباحٍ أستيقظ، بقعةَ حُبٍ يابسةٍ
في طَرَف الكوكب..)

* كوابيس؟.

*(.........)

وَلَنا، أن نخرج متّسعينَ من القاعة
فالخُطبةُ ما كانت خُطبتنا
والليل لنا..

وَلَنا أن نفترق الآن على مَهَلٍ
أن نتوقفَ في الساحة منتظرين -
ولا عربات..

ولنا، أن ننظرَ في الليلةِ:
في المدن الثكلى
والسحبِ الملأى، بفراغ الحب..

* أمسية فاشلة؟.

(.........)*

في لافتةٍ، امرأةٌ عاريةٌ
بين جنودٍ
وحشودٍ
ولصوصٍ
....
في لافتةٍ، امرأةٌ
بين حشود عاريةٍ.

---

* Cinema؟.

(.........)*

I

أحياناً
ليس مهماً مُتَّسع الماءِ
لكي نغرق.

II

في العزلةِ أيضاً
ترتفعُ الجدرانُ، وتنزلقُ النسوة.

III

أحياناً ليس مهماً
حتى أن نجد الماء..

IV

في العزلةِ..
في وجه امرأةٍ غارقةٍ..

---

* Titanic؟.

(.........)*

في الدونا**

في شجر الدونا

في عينيه الزائغتين بلا خَفَرٍ

في السحب الفَضّة

والمدن (البَضّات)..

كان البحر الأبيض - من نافذة الطيارة - متّصلاً..

مثل ذراعٍ أبيضَ مرتعشٍ، منذ قُرون:

جزائرهُ السحرية..

وعصاه..

---

* Europe؟.

** الدونا: الدانوب.

(.........)*

لي جسدٌ يخذلني:

آلام الركبةِ..

والرغبةِ..

..والمهدِ المسترسلِ في شجر الدار..

و(الحكمةُ)..

واللُّحمَةُ:

مُشتبَكُ الأعوام على جَسدي

والغَيبَةُ

والنار..

---

* تاريخ شخصي؟.

*(.........)

أحياناً
وأنا أذكرُ أني: شاعرُ
أو «لاعبُ شطرنج»
أو صانع أسئلةٍ

أتذكّر وجهاً أغبرَ، مُتَّرِباً
ذات صباحٍ أغرقَني:
بالحب
وأحجارِ الرسم
وأوراقِ اللعبة..

---

* تفاصيل شخصية؟.

*(.........)

يومَ وُلدتُ
ولفَّفَتِ المرأةُ وجهي
ويَديَّ
مَحتِ الطفَحَ العائمَ في جسدي..
واقترب الوالدُ
مدَّ مراكبَه فـيَّ، وحمَّلني الإسم..

الآن، وأنا أكتب هذي الكلمات، أفكر:
مَن منّا نحن الشركاء:
الوالدُ، الأمُ، وأنا
كان يمدُّ مراكبَه
في طفَح الآخر..

---

* ولادة؟.

(.........)*

لا (القُبلةُ)

لا (البيريّةُ)**

لا زاويةُ النوم مع العزلةِ

لا (الجثةُ)

لا (الشارعُ)

لا (الحبُ)

ولا القلقُ الصاعدُ مثل رُغاءٍ أخضرَ

مُرتعشٍ..

لا هذا

ولا أمسِ

- ولا أمسِ -..

....

قلقُ الرغبةِ في زمنٍ آخرَ

كنتُ..

---

* نفي؟.

** البيريّة: القبعة العسكرية.

(.........)*

الطريقُ المفصَّلُ، الزمن المتساقطُ، والمروحة..

الحـياةُ إذن: إرتخاءٌ بسيط على شـجرٍ..

حيثُ يمكن - حتى مع الهجسِ - أن نغتدي:

الحريقَ المفصلَ، والمذبحة..

---

* تنويه.

دائرة المِزوَلة

دائرة المِزوَلة

كُتبتْ قصائد هذه المجموعة بين عامي 1996–1998

1

استقصاء

تجربة عابرة

مَرزْنا على النهر..

تركْنا على غبرة الجسر حُلماً

أضاء -

رجعنا..

وقلنا: غداً

إذ تصيرُ الجسورُ جناناً

سنستمطرُ الحلم..

....

أكُنّا قريبينَ، إذ ذاكَ، من فكرة الحب؟.

أمل

الشمعةُ
في بئر الليلِ
تَنوسُ..
تبدّدُ شعلتَها في مَهَلٍ
يَدْهمها الليلُ
فتنأى..
تصعدُ في الضوءِ
وتصعدُ في النَوْءِ
تعود مع الوهَج العائدِ
أشرعةً..
....
الليلُ الغاصبُ
مُحْتَجَزٌ
في بئر الشمعة.

زمن

ينهدلُ الشنشولُ*
فيقتربُ الماء..

اللُّجةُ في الغَمْرةِ، دافئةٌ
(لا أحدٌ يَلحَظ..)

امرأةٌ، خلف زجاجِ الشنشولِ
تُلوّح..
امرأةٌ من وَهَنٍ..
امراةٌ من وَهَجٍ..
امراةٌ من زمن، مُنْتَفخٍ:
أوداجٌ
ناتئةٌ
قَسَمَات..

المرأةُ، خلف زجاجِ الشنشولِ، تُعَمَّى
(لا أحدٌ يَلحَظ..)
يتدلى
ينهدمُ الشنشولُ
ويندفقُ الماء..

* الشنشول: شرفة مغلقة من خشب وزجاج ملون كانت شائعةً في بغداد والبصرة، ج: شناشيل.

تقاسيم على وتر الضوء

مقلةٌ تنطبقْ - تلتقي سحرَها..

هي الشمسُ، عبّادة للبداية!..

*

رحيلٌ، يجدّدُ أعوامَهُ..

أعوامُهُ: الدربُ ذاتُه..

*

من تُرى

يجعلُ الأرضَ تبدو

مدىً جانحاً في الدقائق..؟

هل انه الموتُ، تحت الدقائق؟..

*

أجاورُ حزناً

فيجتاحني

نداءُ وحيدٍ هَلَكْ!

*

ما يَجعلُ الموتى

يزيحون السطورَ، وينهضونْ

إذ يوقد الدمُّ

سماءً هائلة..؟

*

هَبْ ليلةً، وأنت تجتاز حزناً، تضيء..

بَيْدَ أنّكَ لا تُضَيَّع، بل ترتقي بقعةَ

الضوءِ مُنتصباً:

تُعيدُ اكتشافَ الحقيقة

كالجفن، مُختلِجاً

يرفدُ الشمسَ

في فكرة الموت

قبل البداية...

وجود

تمرُّ العيونُ على صفحةِ النهر..
حمراءَ، من ماء جُرحٍ
وماحِلَةً: فَرْطَ ما أورقَ الغِلُّ فيها
تمرُّ الوجوهُ
تمرُّ الأيادي
وتدخلُ ذاهلةً
صفحةَ البحر..

أيها البحر تمحو
غدَ السابحينَ، بلا نجمةٍ
في هزيم الرياح..
طريدينَ كالطَوْفِ في موجةٍ تبتعد/
حيِّزٌ بيننا: قامةُ البحر
دائراً في المتاهةِ..
حيِّزٌ بيننا: قطرةُ النبضِ
ناصلاً في الوجود..

الماخور

الضوء الشاحبُ
في صخب الماخورِ
يشفُّ..
يمسّ وجوهاً تتنادى
جامحةً
في شهوتها الشرقُ يدٌ
وذراع راعشةٌ
تفتقد الحبَ
ولا تجد الدرب
....
....
كم سنةً
والضوء شحيحٌ
والنظرة شاردةٌ
تفتقد الحبَ
ولا تجد الدرب؟..

صحراء

لا راحلةً ظلتْ..

أسلمتِ الصحراءُ إلى الصمت نعومتَها

وتولّى الأندادُ بعيداً

وغداً

حين يعودُ القومُ

وتعودُ عباءات الحرب لخفقتها

والضربةُ

والصرخةُ

واليُتْمُ

ستكون هناك مناقبُ أخرى..

2

نساء

سيدة

بحقيبةِ جلدٍ
مُتغضّنةٍ
وذراعينِ وحيدينِ
انتبذتْ جلستَها المُثلى
بين ظلال الصمتِ
وأغلفةِ الكلمات..

كان المقهى مزدحماً
والخطواتُ تشدُّ خيوطاً واهمةً
وثقوبُ المذياع تبثّ الـ f.m.
والظهرُ قليلٌ
والدنيا قاصرةٌ..

عودُ ثقابٍ
أشعلَ رأسَ التبغ، فماجتْ
أكداسُ الرغبات المرصوفةِ في زاوية اللحظةِ
كالتبغ..

شهوة مزمنة

يسعُلُ
كي يماليءَ أوجاعَه:
لحمَها المُشتَهى
وأصابعَهُ اللائبات..

- أفِقْ!
(صفعةٌ في الوجهِ، أخرى)
- أَفِقْ!
قد ارتفعَ الصباح!..
ديوكُ الضياء، مُجاهدةً
تُناسِلُ أشكالَها..

امتلاك

كلَّمتْهُ عن الحُب
عن حقلها المُستهام
وزهرتِها الدانية

ولكنّه، دُون أن يبتسم
أزاح أضافرَها
إلى كفِّها الحانية!

3

شُرود

هوامش سريعة

1- تَوْق..

مَرّةً، رأيت الزوارقَ خفّاقةً
في البحور التي أغرقتْني
ألفَ مَرّة..

2 - موت..

الموتُ
بزاويةٍ غادرَها الحبُّ
سماءٌ، أغرقَها الماضون على عَجَل..

3 - ديمومة..

منذ الليل الأولِ
كانت صاريةُ الأحزان
بلا جُزُرٍ..

4 - جنس

الشبَقُ الصاعدُ أشرعةً
يتسلقُ امرأةً من نَوْءٍ
ترسمها الرغبة..

5 - اعتراف

في مُدُن الموت
يَظَلُّ الباحثُ عن وطنٍ
يَهرَم..

خواء

مكثْنا مع الحزن يوماً
أطلْنا الوقوفَ على شرفةِ القلب..
حمامةُ أحلامنا رفرفتْ
تماهتْ مع الأفق وهْجاً..
وخلتْ مداها
شجىً في السماء..
فما بالُنا
تستضيء الجراحُ
ولا نتَّقد..؟
....
نافذٌ
نصْلُ هذا الخواء.

خفارة

في ظلالِ المعسكر
والليلُ ينمو
وصمتٌ يغيض، يُؤرِّج أجراسَه..
يقصفُ الصمتُ في الليل ريحانةً
بُرهةً - ثم تنقصفُ العيون..

شعاعٌ غريبٌ من الوهْج يحبو
على وجنتيه..
تفيء النجومُ إلى وجهه
تفيء اللُّقى..

ونارٌ، من الهجْس تعلو../
(هل كان وهماً
مِعْزَفُ الفلوات، ذاك..
هل كان حلْماً
موطنُ الراعي
وطقطقةُ الغصون؟..)

وردةُ التبغ..
بَيّارةُ المنتهى..
رعشةُ الأولياء..
كلُّ شيءٍ يُرى
في سكون الخفارة..

ضربة شمس

هاجِرة..

رغوةٌ في جيوب الجنود

في لهاثِ البساطيل*

الأرض هاجعةٌ، تنفثُ الغيمَ

في هدأةٍ غائمة..

بُغتةً:

تستديرُ الوجوه

يستديرُ الوجود

يصبُّ

كدُوّامةٍ

على نقطةٍ -

هي الشمسُ

إذ تلتقي جفنَها

وإذ أنت تَرقى

سَحاباً جريحاً

على جفنها المنطبق..

* الجزمات العسكرية.

سرقة

حينما قام من حلمهِ

توقـفَ في النـافذة:

كانت الحرب ترمقه

حينما عاد من حزنهِ

....

....

كان فـي الأربعـين.

4

قصائد نثر

(.........)

الريحُ تعبثُ
بالخصلاتِ من جبهتي
ترسمُ البابَ،
أو تطرقُ النافذة..

أأكونُ مَيْتاً
والريحُ دائرةٌ
بما يبقى من الأعوام
في الريح؟..

(.........)

في الطفولة القديمةِ

عندما كنتَ حراً

لم تكن الحرية

بل كانت مطراً:

الخطوة الوحيدةُ التي غرقتْ في الوحول

ظلت جامدةً

عِرضةً للدهور..

(.........)

لا شيء

المطرُ وحده

الكلماتُ فقاقيع..

الناس..

الخطوات..

المعنى..

لا شيء

أنت والمعنى

وحدكما..

(.........)

انه المطر

رماديٌ دائماً

قليل الخبرة:

الأزقةُ في الوحول

والمدينةُ في المعجزة..

ميدوزا

اليدُ البشريةُ

تنسى

القطرةَ البيضاءَ المعتصرة

من لُحاء الدروب

قريبةً من الشاي

بعيدةً عن الوطن

العروقُ النافرةُ

تتحجر

الأفاعي الزجاجيةُ

ترسم شكلاً خاصاً بها

على قدحِ الهواء

اليد البشريةُ

تتذكر..

(.........)

النجوم التي ليس لها
من النهر غير المساء
البلاطة في مفرق الجسر تبكي
النجوم التي ليس لها
من النهر غير المساء - البلاطة
في مفرق الجسر تبكي
النجوم التي ليس لها..

(.........)

لماذا نعودُ إلى الساقية؟
كأن السماءَ التي أحرقتها الملاحم
لم تكن سوى مهرجان..

نيجاتيف*

إلى تلك الأعوام، شواخصِ القصف ..
حينما خاطب الروحُ طويلاً، دويَّ الحقيقة..

-1-

تناسـلُ الضـوءِ ينيـر صـورةً غامضـةً لذاكرة متحجّـرة، وأهوالَ رعبٍ لحلم مندثر:

"شوارعٌ..طائرات..وجوهٌ تغيم حزناً، عيونٌ تغيب بأغوارها، أصواتُ إنقاذ..نشراتُ أنباء..ظلام - ضياء، ليل - نهار.."

فتـح عينيـه: كان إصبعُ الشـمس مُسـمّراً على جبهتـه، وثمّةَ عصفورٌ جميلٌ ينطُّ في قبضة الضوء..

-2-

«كانـت الـروحُ منـذ بدايـة الأشـياء توقظ زهـرةَ الأرض هذه، وتوقظ الأرض..ريشـةً فـي جَـرّةِ التكويـن كانــت، تبـثُّ أشـكالها فـي ثنايـا الزمن..»

أطبـقَ جفنيـه وحـدّقَ فـي الذاكـرة: زهرةُ الموت راسـفةٌ منذ ما ليس يذكر..أدارَ المساء وأيقظَ قبضةَ طفلٍ صغيرةٍ في قاع صمته..

"كانـت الـروحُ تطفـئ الأحجـارَ كي تضيء الزنابقَ، تنسُـلُ اشـكالَها في سـكون الفضاء..وحين اسـتوتْ في رعشـة الخلق اسـتدارت لتوقظَ البحر.

---

* Negative : سالب الصورة.

أيقظه هاتفٌ مفاجئ:

-دماءٌ جديدةٌ تفجرت في مسارب الألم!

فتح الشقاءَ واختزنَ الرسالة!

قبضةُ الطفل - كم هي صغيرة!

ما زال يذكرُ كيف التقاها ليلةً في ركام المجازر، وكيف استكانت إليه..

«كانت الروحُ..»

دُوار: قبضةُ الطفل..زهرةُ الروح..ضجّةُ الإنقاذ..دوامةٌ تبتعد متلاشيةً في بؤرة فاجمة..

-3-

تلمّسَ حزنَه فتذكر البحر..وليلةً ظلت السماءُ فيها حائضاً، عروقُها الحمراءُ بروقٌ تهصر النازحين..تذكرَ القتلى..والساقطينَ في جنون العواصف، أوزارَهم في السيول..وليلةً أفاقوا بعدها في صباح المدن..

-4-

سماء، وبضعةُ أنبياءٍ قدامى، وجلاّدُ تاريخ يَغلُّهم..

احْدقوا به، تلمّسوا جرحَه والضماد، و أوضحوا الأسبابَ التي أجّلتْ بَعثَهم..

كان لا يستطيع الابتسامَ فاكتفى بالغرق:

«ذي هي الروحُ في معبد البحرِ تنشرُ شعرَها، تنحَتُ تمثالَ بحرٍ صغيرٍ بلا غايةٍ سوى شهوة الخلق..مدَّ ذراعَه و التقاها، ألفى نفسَه في جنائن الأمل..تذكّرَ الضائعينَ في عصورالكوارث..ورحلةً أدركوا السرَّ فيها، فكدّسوا جبال الألم، وأشعلوا النار في الذاكرة..»

-5-

دَفقَةٌ غائمة، ضياء..

عاودتْهُ الطائراتُ فاهوى على الأرض، يرقبُ جذوةً تنتأي في ثنايا الزمن..

كم كانت الروح ناحلةً في صفاء الشقاء!..الوجود..الدقائق..وصيحةٌ تمتدُّ من شهوة الأرض حتى رعشةِ الجسد الدفينة..

ناحلةً!- حتى انه رأى الصمتَ نحلةً، وتراءى له الحزنُ مصلوباً على صرخة مطفأة!..

اهتزت الأرضُ فجأةً - قصفٌ قريب!

كانت الطائراتُ منذ الصباح تبصق الحزنَ والأوبئة، فقد كانت مصابةً بالدماء..

-6-

ضلت العينُ حمراءَ في الجفن، الأرضُ حمراء..

"قَطْرٌ.. سقوفٌ تُقَطِّر..عَصْفٌ احمرٌ في الشوارع..شهوةٌ في تخوم الوجود ترسلُ طائراً لقيثارة القمر..نجمةٌ تَنسُلُ الحلمَ دهراً..بدائيٌّ يُمَزِّقُ تهويمةً من ثغرها..قبضةٌ ترتمي على الأرض يتبعها عتاةٌ بمخالبَ و أسلحة..»

فتح جفنيه: كانت زرقةُ الحلم جارحةً فاطبقهما:

«جنونُ السيول يحاصرُ الشوارع..واللاجئون يودعون نساءَهم والحياة..مقابرُ تطفو وتقرأ أسماءَها على لوحة القدر..مشافٍ تفيض..أصواتُ إنقاذ..نشراتُ أنباء..وجوهٌ تغيب في موجةِ الغائلة..كانت الروحُ في معبد الأرض مسلوخةً وكانت الأرضُ محمومةً ترتعد..»

وكان يرتعد، إذ أيقظته أصابعُ جاره القتيل..

-7-

وَهْج: ممرضةٌ أزاحت ستارةً فتسللَ الوهج..

قبضـةُ الطفـل فـي الصمـت موسـومةٌ، ونوافـذُ القلـب مُشـرَعَةٌ فـي الهواء:

«ظلت الروحُ تبذرُ الأعوامَ حتى تورّدَ البحر، وإذ أورقَ الطيـنُ مسختْهُ جَرّةً..وتناسـلتْ في النبض حتى تجسّـد، فتجسـدَتْ، و ألقتْ خرافتَها، وارتمتْ في الخلقِ بعد أن خلَّفَت في الأرض نُطفَةً دافئة.."

-8-

سماء، وبضعةُ أنبياءٍ قدامى، أداروا وجوهَهم، وانتأوا في السماء..

-9-

حينما أفاق كانتْ ندوبُ الشقاء قد أزهرت..

صار شكلاً في يباب الحروب يبدّدُ أعوامَه، ويختفي في الخواءِ مثل ذبابةٍ في قبضة الضوء..

صار يمحو مساءَ أحلامه والنجومَ..وينام مُستَوثَقاً إلى صورة الموت أفعى تفحُّ على جُموعٍ أصابها الانكسار..

أُصيبَ بالحزن..وانفلات الجراح المفاجئ..

وفي ليلةٍ كانت مشـاهدُ الموت فيها مجسَّـدَةً على زَبَدِ الهواء، تمتم لفظاً غائماً..وهَمَد!..

-10-

شـمس..زهرةُ الأرض فـي صفـاء النبُـوّة - قبضـةُ طفلٍ صغيرة تترك آثارها على الصمت.. وأغنيةٌ يومية عن الخلق تنمو في حكايةٍ تبتدئ:

كانت حكايةً في مواسم الحزن
وكانت رحلةَ الجسدِ المخضّب
مواكبُ الأعوام طافتْ حتى تحجّر الحُلم
وتمّ صدُّ الأمل
كانت الأعوامُ جارحةً كالأسنّة
في تلك الحكاية المجنّحة..

ها نحن في سِفرِنا
ها نحن نستفيق
أعوامُنا مكشوفةٌ للبروق
أغوارُنا مكشوفةٌ للمدى
يمسّنا والوجود
وصورةً منسيةً للحياة
ترتادنا
في مدنٍ مقبلة..

بغداد

1998-1996

ملحق نقدي

باتجاه الشعر الحداثي[1]

قراءة في «إشارات مقترحة» لنصير فليح

مالك المطلبي

مجموعـة شـعرية جذبنـي إليهـا مجموعة أصواتها التي تحاول كسـر جدار «المألوف» السميك وزاد من انجذابي إليها أنها بدت محاولة للعود علـى بـدء، محاولـة عنيـدة لإثبـات أن شـعر التفعيلة (أو ما اصطلح عليه بالشعر الحرّ) لا يزال يحاول الدفاع عن برنامجه التجديدي على أعتاب الشـعر الحداثـيّ، متجاهـلاً، أو متناسـياً تلـك التهمـة النقديـة التي جعلته خارج الحداثة، بكونه صوتاً عمودياً بترتيب مختلف!

الشعر الحداثي لا يعترف في آننا هذا إلا بنسخة واحدة: هي نسخة قصيـدة النثـر حتـى غـدا الربـط بيـن الحداثة وقصيدة النثر اشـبه بالبديهة النقدية. هذا المقال إذن هو محاولة لاختبار مجال الاختراق الذي أحدثه شعر المجموعة باتجاه الشعر الحداثي، أو إنه كان - ولا يزال - شأنه شـأن الشـعر العمودي، قد فقد مجال اسـتثماره الشـعري، فقداً تاماً، لم يعد فيه أي إمكان توليدي مضاف؟.

العنوان "الغلاف"

يشـي عنوان المجموعة (إشـارات مقترحة) بتعبير شـعري ذاتي وهو كلمة إشـارات، فما الشـعر إلا حزمة إشـارات تخلصت من ثقل المواد

(1) النص الكامل للدراسة منشور في صحيفة (الصباح الجديد) في عـددي 22/11 و4/12/2006.

العالقة بها، لخلق ما يحفزنا على أننا مقدمون على دخول عالم الشعر الخالص (الشعر للشعر) وتلك هي العقدة التي تحكم هذه الكتابة: الاعتراف بالخطاب الشعري لا بالمحتوى. وبعبارة أكثر وضوحاً، تمثل المجموعة، أو هذا الجزء في الأقل (إشارات مقترحة): صراعاً يتعلق بالكيف لا بالـ "ما"، أي بكيف يكون الشعر لا بما يقوله الشعر "دع الشعر يقول ما يقول ولكن أعطني شعراً».

اللعب الحرّ

تفاجئنا قصائد «إشارات مقترحة» بلعب حر على السطح الأبيض.انه نوع من استثمار المنظور فوق سطح ذي بعدين، لإنتاج مسار دلالي لا تستطيع اللغة في صورتها الذاتية أن تنتجه. فبدلاً من التسلل النمطي للقصيدة عنوان-نص (أو عنوان يعبّر عنه الفراغ أو النقاط+نص) يحل شكل مغاير تماماً. فالعنوان موجود ولكنه يقع خارج حدود النص من الأسفل. ويحل محله في رأس القصيدة تسع نقاط، ونجمة (هامش) تشير إلى وجود العنوان خارج خط النص وكما يأتي:

(.........)*

---

* مطر؟.

يضعنا هذا التشكيل في مسار آخر للقراءة، فبدلاً من أن نقرأ من اليمين إلى اليسار كما هو ترتيب اللغة العربية الأفقي، سنتجه عمودياً من الأعلى (النقاط ليس لها يمين ويسار) إلى الأسفل ؛ إما إلى مفتتح القصيدة ثم التسلل حتى عبور الخط والوصول إلى العنوان، أو النزول مباشرة بوساطة نجمة الهامش (*) إلى أسفل حيث يستقر العنوان، والعودة من ثم إلى قراءة النص بعنوان محفوظ وليس مرئياً، وفي كلتا الحالتين سنكون بإزاء تخلخل في عادات التلقي التي تكوننا، وهذا التخلخل هو احد شروط القارئ المُشفَّر المنخرط في الجماليات، انه كائن يسد فجوات النص ويربط ما بينها ويتعب! التعب هو جزء من عملية المخاض المشتركة بينه وبين النص، أما القارئ القديم العيني فهو منفصل تماماً: يشبه إناءا فارغاً يسقط فيه سائل ما! لكن هذا التخلخل ينبغي أن يكون ذا وظيفة نسقية، وإلا تحول إلى تجريب (ذاتي). وقد حدث أن جرب الشعر الستيني في آخر عقده اللعب بالشكل الهندسي للقصيدة: دوائر/ مثلثات/ معينات...الخ ولكن هذه التجريبية لم تثمر إلا فعلاً آنياً اندثر مع مرور الأيام. السؤال النسقي هو: ماذا ينفع (نفع النظام) النص رفع إيحاء العنوان المباشر وتأجيل هذا الإيحاء مدة خطية (زمكانية) مقابل إبقاء العنوان كما هو في تراتبيته واستثمار إيحائه قبل دخول عتبة النص؟ تحتاج الإجابة عن هذا السؤال إلى اختبار القصائد ألاثني عشرة التي تم عزلها عن إيحاء العنوان.

* * *

يتمحور مبدأ الخلخلة الذي يشكل الصيغة النووية لإرباك التسلسل، في سلسة من المونتاجات (التركيب عبرالتقطيع) وسنحاول في هذا المقال أن نتعرف على طبيعة تلك التقطيعات.

المونتاج الزمني

يعمد الشاعر في مفتتح هذا القسم (قصيدة (مطر؟)) إلى نوع من أنواع المونتاج الزمني:

الحاضر: **قطراتٌ بيضاء**
من مُنعطف"السعدون"
إلى شجر الجُمّة
تحمله قدماه

الماضي: **أعواماً كان هنا**
في وهج الغُمّة
في الإسفلت المتشقق
في البار المهجور - تجرده عيناه

الحاضر - المستقبل: **قطراتٌ بيضاء**
وصمتٌ ابيض
والكلمات الغبراء تدور
من الزمن المحكي
إلى الزمن الحاكي.

يُرمز للمنتجة الزمنية بالمساحة البيضاء بين المقاطع الثلاثة. وهذا الزمن الارتدادي يقوم بكسر تراتبية الزمن الموضوعي (التقويمي) ولكنه لا يأتينا بطريقة متوترة: بل بطريقة هادئة تحيلنا إلى قطار قصائد الخمسينات.

مونتاج التراتبية اللغوية (الضمير والمرجع)

في قصيدته:

(.........)*

* نكوص؟.

يقوم بلعبة تفكيك داخل اللغة، حين يقوم بقطع تراتبية الضمير ومرجعه. تقدم اللغة نظاماً محدداً لعلاقة الضمير بالمرجع تقوم على مبدأ أسبقية المرجع (الاسم) على الضمير. فالضمير هو لفظ مبهم لا يمكن الإخبار عنه أو وصفه من دون أن يتعهده اسم سابق عليه، فقولنا:

- هو مقبل علينا

فإذا لم يكن سياق التبادل اللغوي يتضمن معرفة المستقبِل بمن يكون هو، فان المتكلم يكف عن الكلام عليه إلا بتوضيحه أو تخصيصه على قول النحاة. كسر تراتبية الضمير بالمرجع هي إحدى منتجات الصور اللغوية التي تقوم بخلق خلخلة في التلقي، لترك الآثار المطلوبة عبر كسر التوقع. وقد ورد هذا التكسر في كثير من آيات القرآن الكريم كقوله تعالى: "إنها لا تعمى الأبصار"، فالضمير في (إنها) لا يعود على سابق

(كما هي عادة اللغة) بل يعود على لاحق (إنها) أي الأبصار. لننظر إلى هذه الخلخلة التي أحدثها قلب تراتبية العلاقة بين الضمير والمرجع:

ليس لها - والبحر يناجزها الموج -
سوى
أن تهجع في جزر الغَيبة

فالضمير في لها والضمير في تهجع غائم لا وجود له. إن سؤالنا سيظل عمن يتكلم .يتعمق إرجاء المرجع عن طريق نقاط (تشير إلى كلام محذوف) هكذا:

ليس لها - والبحر يناجزها الموج -
سوى
أن تهجع في جزر الغَيبة
....

تشير النقاط الثلاثية (...) عبر تكرارها سبع مرات إلى ما هو محذوف في معجم الترقيم اللغوي، إلى شريط النقاط الثلاثية، وحتى الآن نجهل المتكلم عليه، إلا بما تزودنا به الدلالة النحوية (في توزيع الضمائر) أن المرجع يخص مؤنثاً لا مذكراً. بعد فاصل النقاط يظهر الاسم كما لو كان جسماً خرج من الغور إلى السطح:

....
امرأةٌ زورقها الخيبة..

---
* نكوص؟.

يواجهنا العنوان "نكوص؟" بتوكيد هذا التخلخل الذي يحدثه قطع تراتبية الضمير والمرجع، ويمكن إدراجه تحت مسمى "بنية الإيقاع الدلالي"، إنه صورة إيقاعية لخلخلة التوزيعات اللغوية.

المونتاج المكاني

في قصيدته:

(.........)*

(البغيُ)، بناصية الشارع
ترمقني:
الوجهُ الفاجع
والسحبُ الزرقاء..
البغي، بناصية الشارع، تدنو
(فيما أرحل - منكفئاً - عبر دخان
العربات الخانق، في وجه امرأةٍ، لم تأتِ..)

ينتقل بنا إلى نوع من أنواع التقطيع (المونتاج) المكاني:

هنالك: **(البغي) بناصية الشارع ترمقني**
هناك: **البغي بناصية الشارع تدنو**
هنا: **أرحل منكفئاً**

القراءة السيموطيقية للرموز السابقة تحول «ترمقني» الى: ترسل دخانها عبر سحب وجهها الزرقاء، الزرقاء دلالة على أن الدّخان سامّ.

وتحول "تدنو" إلى: يدنو دخانها مني، و"أرحل منكفئا": أهرب، و"المرأة التي لم تأت": وهمُ وجود غير ملوث، والعنوان هو الكشف الواقعي لسجل القصيدة: (تلوّث؟).

تقطيع التضاد

في قصيدته:

(.........)*

أتكونُ المرأةُ؟

أتكون الرغبة؟

أتكونُ الغفلةُ في جسدٍ، حُمّى؟

أتكون الحمّى؟

....

(كل صباحٍ استيقظ، بقعةَ حب يابسة

في طرف الكوكب..)

* كوابيس؟.

هناك تضاد بين المقدمة (الأسئلة) والنتيجة (الإجابة)، على الضد من توقعنا بأن المقدمة هي جزء من الهارموني العقلي (المقدمات هي نتائج أولية!). ها هنا تأتي المقدمة على شكل أسئلة صخابة وإنكارية،

فوضى عارمة داخل لحظة العنف الجسدي:

-المرأة

-الرغبة

-الجسد

-الحُمّى

في حين تأتي الإجابة هادئة (كأنها نائمة) حيث تنتهي نوبة العنف الجسدي:

«بقعة حب يابسة

في طرف الكوكب»

يُقرأ العنوان (كوابيس؟) سيموطيقياً (استمناء)، وبهذا يمكن تفسير «بقعة» الحب اليابسة وطرف (الكوكب) مصدر العنف الجسدي السابق .

المونتاج الذهني

تقوم قصيدة:

(.........)*

* أمسية فاشلة؟.

على خطوات متقاطعة داخل المكان الذهني. إنها افتراضات تنتهي إلى نتائج سرابية، أو فراغ، أو على تسمية العنوان (أمسية فاشلة).

*(.........)

ولنا، أن نخرج متّسعين من القاعة
فالخُطبة ما كانت خطبتنا، والليلُ لنا..

ولنا أن نفترق الآن على مَهَلٍ
أن نتوقف في الساحة منتظرين -
ولا عربات..

ولنا أن ننظر في الليلة:
في المدن الثكلى
والسحب الملأى، بفراغ الحب..

---

* أمسية فاشلة؟.

تقطيع التضاد

في قصيدة:

*(.........)

---

* Cinema؟.

يجسم تقطيع التضاد طابع الخلخلة مرة أخرى:

اللافتة (1) (السطح الشرقي):

في لافتةٍ، امرأة عارية
بين جنودٍ
وحشودٍ
ولصوصٍ
....

أما اللافتة (2) فتشمل الآن (الباطن الشرقي):

في لافتةٍ، امرأةٌ
بين حشودٍ عاريةٍ.

---

* Cinema؟.

حيث يتضح التقابل بين: امرأة عارية بين حشود/ امرأة بين حشود عارية. وتؤدي كتابة العنوان باللغة الانكليزية (Cinema) إلى منح

الخلخلة طابعاً تقنياً غربياً .فاللافتة التي هي لافتة غربية (سينما) تحدث الخلخلة التي يتم فيها بناء رؤيتين لشكل واحد.

المونتاج التراتبي

في قصيدة:

(.........)*

* Titanic؟.

بمرجعية مأساة الـ (تايتانك) يقوم الشاعر ببناء نسق يخلخل التسلسل، حيث يُقرأ المقطع الأول والثالث ثم الثاني والرابع. ويعبر هذا النسق عن خلخلة تراتبية القراءة:

المقطع (I) **أحياناً**
ليس مهمّاً مُتَّسَعُ الماء
لكي نغرق.

المقطع (II) **في العزلةِ أيضاً**
ترتفع الجدران، وتنزلق النسوة .

المقطع (III) **أحيانا ليس مهمّاً**
حتى أن نجد الماء

المقطع (IV) **في العزلة ..**
في وجه امرأة غارقة ..

وبإعادة منطق التسلسل، نقرأ:

(I) **أحياناً**
ليس مهمّاً متسع الماء
لكي نغرق

(II =III) **أحياناً ليس مهمّاً**
حتى أن نجد الماء

(III=II) **في العزلة أيضاً**
ترتفع الجدران وتنزلقُ النسوة

(IV) **في العزلة**
في وجه امرأة غارقةٍ

وتأتـي كتابـة العنـوان باللغة الانكليزية (Titanic) مع الإحالة التراجيدية، إلـى بنـاء مشـهد متقطـع يحتضـن مقاطـع القصيدة الأربعة: مشـهد يكون البحـر فـي السـفينة، وتكـون السـفينة فـي البحر، ويكـون الغرق في وجه المـرأة المـلاك وليـس فـي جسـدها. حاضنة الإحالة هذه تشـكل معادلاً موضوعيـاً لمـا يحـدث فـي الأجزاء السـينمائية التي تخص بطلة تايتانك، وهذا جزء من وظيفة «العنوان» بكونه دالاً بنائياً وليس خارجياً. بعبارة أخرى أن القارئ بدون أن يتعامل مع إحالة العنوان (Titanic) فانه سيقرأ تلك القصيدة بكونها مقطعة لا رابط بينها.

الوجود هنا.. شعرية المزاوجة بين الزمان والمكان*

ياسين النصير

1

في هذا الديوان (الوجود هنا) ثمة ثلاث عتبات للدخول إليه: العتبة الأولى هي عنوان الغلاف (الوجود هنا)، العتبة الثانية هي المفردات الست التي توزع الديوان عليها والعتبة الثالثة هي عنوانات القصائد التي احتواها الديوان.. فالعنوان الأصلي للديوان هو خلاصة للعنوانات الباقية كلها، في حين تشكل عنوانات المفردات الست أبواباً كبيرة للدخول الى القصائد. الملاحظة الأولى، هي ان كل مفردة من المفردات الست لها فكرتها المحورية التي توزعت على القصائد.. فمفردة (تداخل) مثلاً ضمت خمس قصائد، ومفردة (أماكن) ضمت تسع قصائد، ومفردة (تجريد) ضمت ثلاث عشرة قصيدة، ومفردة (جنوح) ضمت ثماني قصائد، ومفردة (موت) ضمت سبع قصائد، ومفردة (وجود) ضمت إحدى عشرة قصيدة. والملاحظة الثانية أن المفردات الكبيرة الست قد شكلت بؤراً فكرية محورية وزعتها على القصائد المنضوية تحت عنوانها، لذا تعددت القصائد تبعا لتكملة معنى المفردة ودلالتها.. فتجد فكرة (التداخل) موجودة في القصائد الخمس، وفكرة (الأماكن) موجودة في القصائد التسع وفكرة (التجريد) موجودة في القصائد الثلاث عشرة، وهكذا..الخ. الملاحظة الثالثة أن لكل مفردة كبيرة مساحة قول وتأويل

* النص الكامل للدراسة منشور في صحيفة المدى في عددها اليوم 2009/5/27.

تتناسب وحضورها الواقعي، فأكثر القصائد انضوت تحت عنوانات: (تجريد) ثلاث عشرة قصيدة، تليها قصائد (وجود) إحدى عشرة قصيدة، تليها قصائد (أماكن) تسع قصائد،.. ونستطيع أن نرسم خطاً لمشهد يتألف من سياق تصوري/ شعري لمحتوى الديوان كله وهو: أن القصائد تتحدث عن: (تجريد وجود المكان) من خلال (تداخل وجنوح وموت).. وهي ثيمة تعبر ضمناً عن (الوجود هنا) حيث يمكننا أن تختصر التجربة الشعرية بـ (الوجود هنا..)، وبالطبع ثمة تداخل آخر بين قصائد المفردات (تداخل وجنوح وموت) لكنه لا يفضي إلا إلى (تجريد وجود المكان).. الشاعر هنا يعي تماماً تجربته وكيفية وضع القصائد فيها، حيث يتدرج في قصائد مفردة (تداخل)، وعياً ولغة وصورة، فيبدأ بقصيدة (اقتراب) وينتهي بقصيدة (حنين)، ومن داخل هذا السياق المعتمل، نقرأ شعرية متدرجة أيضاً؛ قصيدة تفضي إلى أخرى، وتجربة تتراكم مع تجربة أخرى. فنجد في مفردة (تداخل) إطاراً عاما للإندماج بين صورتين مفترقتين هما: الوجود والعدم. ففي قصيدة (اقتراب)، نلمس صورة عبور الأيام فينا، حيث الزمن يتداخل في الجسد، ويشير الشيب إلى هذا العبور، أنها الزمنية الثقيلة. في قصيدة (مساء) ثمة نافذة لعبور الزمن فينا أيضاً، وتداخل بين الشخصية وصمت الأيام المتخلفة عن الحرب، وبين حاملي صرار الأسرار من الجنود العائدين من الحرب.. في قصيدة (تماثل) ثمة تماثل بين العتق والإهمال ليكوّنا الجسد الحامل للموت، وثمة تداخل بين الشمس والظل وهما ينعكسان على طاولة الشطرنج، فيغير من سياق اللعبة، وثمة ألوان غير محددة بعد، فصيف العراق هو موت الزمن فيه. في قصيدة (البياض السحيق) ثمة رغبة في

التحرر من الظنون الكثيرة التي تلازم الطرق المجهولة. ها هو الجندي لا يعبر أيامه ولكنه لا يركن لهدوء، فنراه يتداخل بين جسده وقبره في صورة درامية مشبعة بالمؤجل. في قصيدة (حنين) ثمة نوستالجيا للتربة/ القبر، التي تتماثل معها الغربة/ الفنادق ، وثمة أمل بالخلاص من كوابيس الهجرة/ الموت والفنادق/ التربة المغلقة.

2

في قصائد (أماكن) نلمح شعرية المزاوجة بين الزمان والمكان في أمكنة تصبح مألوفة ومعاشة في (الآن/ الهنا) ومشبعة بالمحتمل الـ (الآن/ هناك)، وهو ما يميز اختياره لأشياء عادية جداً، أنه يرصد الحركة لتلك الحال التي تكشف عن جوهر الشيء بحركة الشيء الآخر معه. هذه الثنائية الظاهراتية توسع من الشعرية، وبمركزية رؤية الـ (أنا) فيها نشهد حركة متأرجحة الصعود والهبوط، بين فضاء المكان بزمنيته الآنية وعمقه المثيولوجي الدفين.. ولذلك نجد القصيدة تجمع بين: أنا وشارع أبي نواس، أنا ومرقد الكاظم، أنا والحرب، أنا والساحة، أنا والفضاء، أنا والحلة، أنا والنجف..الخ.. أي (أنا والـ هناك). كل هذه الأمكنة حاملة لتراث مثيولوجي عريق... هنا يرفع الشاعر رأسه للفضاء، إلى خارج الجسد، ليرصد حركة ما يحيط به، وينزلها للساحة وللقدمين حيث تعيش الحركة وجودها، وبلغة غائرة في المكان يتحدث عن تداخل الربيع بالشتاء، عن المركبات والبساتين، عن الساحات والفسحة، عن نداوة الأرض وجفافها...الخ. يبدو نصير فليح وكأنه فنان تشكيلي مادته اللغة، وفنان سينمائي مادته الضوء والرؤية، فيبني لوحة المكان الآنية،

ليسكنها بألوان الكلمات وزمنية الأشياء، والتي تبدو لي هنا أنها غير معنية إلا بما تتشكل به (الآن). ففي قصيدة (سَكينة) ثمة فضاء وتراب وهواء جميل، ألم أقل أنه يرفع رأسه للأعلى وفوق الأرض، ليرينا حركة الأشياء، فها هو يعبر من فضوة إلى أخرى، ومن شارع إلى آخر، أنه يتحرك بقدمين سريعتين وبرؤية واسعة وكبيرة. كذلك لغته لا تستقر على صورة تحفر في الذاكرة، فثمة سطوح وحمامات تمر، وسراي، وكون صامت...المشهد إذ ينمو هكذا، ثمة من يترقب تدميره بالصمت الذي يفرضه الزمن على وجوده. القصيدة عند نصير مرايا تمر من أمامها كل التواريخ، فتعكسها كما لو أنها في كرنفال صغير حين يرتدي الكل أقنعة الزمن. ففي قصيدة (تفكك) نلمح هذه الصورة المتشكلة من شظايا المكان، وقد بدت متشابهة بحيث أنها لم تمنع من دخول القصيدة دون استئذان، إنها هذا التكوين الذي ينهض للتوّ كي يحوله الشاعر وهو يتجول جسداً وعينين وذاكرة تستطيع أن تؤلف صورة بانورامية كبيرة للمساء. في قصيدة (ثمانينات) نرى انكسارات زمنية تحملها الحدائق والمارة والضوء، أنه تعميم الظاهرة حيث الزمن فيها هو اللغة التي تعيد تشكيل ذاكرة المكان. في قصيدة (جنوح) ثمة توق لمراقبة من يصنع المشهد الليلي، أنه الله ذلك القابع في سماوته بينما الابناء يعيشون مأساة الليل المتهالك على الأرصفة والمصطبات، أنه اليأس الذي يولد رؤية لمشاهد الحرب الكبيرة، ويسجل حالة امرأة تقف بأظفار مصبوغة ورجل يراقب، تحت سماء الله الذي يصنع لهم مشهداً صامتاً ليتكلموا فيه،..في قصيدة (الشارع) يرصد حركة الوجود والعدم لشارع لا يوجد إلا بالحركة، ولا يُلغى إلا بالظلمة..والشاعر لا يرصد هذه الثنائية بقدر

ما يؤّول سكونها. في قصيدة (مساء قديم في مدينة الحلة) وهي عندي من أكثر القصائد شعرية، نجده يعتمد ثنائية مكانية: العلو/ الانخفاض، سطح البناية/ الشارع، الزجاج/ الأديم، وثنائية زمانية؛ الحلم/ الحقيقة، الهواء/ الإضاءة، لكنه لا يركن لهذه الثنائية في صنع المفارقة، بل يمزج بينها في تكوين شعري للوجد الذي يظهر هنا منصهراً في بوتقة زمكانية تجمع بين جنود عائدين من الحرب وبين مدينة الحلم.. الصورة الأعمق لوجود (الحلة) هي المزاوجة بين الحلم الذي تصنعه حالات الحرب والمساء، فكلاهما ظلمة. في قصيدة (طريق خارجي) وهي في بنية أفقية، يرسم الشاعر أفقاً لحركة الساحة التي تجمع مفردات تهيئ المسافر للانتقال بين مكانين. شعرية هذه الساحة تكمن في أنها تغيّب أشياءها فلا تعرّفها، إن كانت دمامل أم سُدُماً غائمة في المكان، الشعرية أحياناً ليست إلا غشاوة لرؤية ما تحت الأشياء، أو ما يصنعه تجمع الأشياء المفترقة، شيء من الفيمنيولوجيا يوجد في شاعرية نصير. في قصيدة (ذكرى الدخول إلى حانة) وهي قصيدة مرهفة كنسمة عابرة، تصنع لنا مشهداً شعرياً أخاذاً، ذلك هو التماثل بين الأشياء التي لا يمكن أن تكون إلا متجاورة في لحظة كونية واحدة، ولمرة واحدة. لو أعدت الرؤية للأشياء نفسها بعد ساعة لن تجدها بالطاقة الشعرية تلك. نصير فليح شاعر اللحظة المتوهجة، اللحظة التي ترسمها برهة زمنية تغشى العين فيها حدود الأشياء وتذهب دفعة واحدة إلى جوهرها، هذا الخلط في المشهد أشبه بالمصهر الذي يدمج بين أشياء لا تحيا إلاّ في مثل هذه الطريقة، ومثلها قصيدة (صورة قديمة من النجف). ثمة شيء ملفت للنظر في قصائد الأماكن، أن معظمها أماكن تراثية: الكاظمين، الحلة،

النجف، البار، الساحة، الشارع، أبو نواس، شارع النهر. وقراءة أمكنة مثل هذه نجدها مشبعة بالحركة والعتق، وبذلك الذي تتغير فيه الرؤية بالحركة، حيث السكون ملغى، والرؤية المضببة وحدها، تدخلك في شحنات هذه الأمكنة.. ما يميز شعرية نصير فليح أيضاً، أنه شاعر قلق، ومدقق كثيراً باحتمالات اللغة، لأنه لا يضع في مشهده شيئاً لا يعرفه، كل رؤيته قد حددت بالاختيار، أنه يعمل على ايجاد ساحة دائمة في قصائده، ومن هنا فالعالم الخارجي جزء من مكونات صورته الشعرية الذاتية.. وفي هذا العالم يفترض برهة زمنية تجاورت وتصاهرت فيها الأشياء، أنها الدراما المكانية، ولذلك عليه أن يأتي بشخصية أو أكثر - وغالباً ما تكون شخصية واحدة أو ذاتاً منشطرة إلى ذكر وانثى - ليضعها في هذه الدراما المكانية/ الزمانية ثم يوحدهما في بوتقة النشوة الكونية وهو يرى أشياءه قد تحولت إلى لغة وكلمات وصور.. نصير فليح لا يعمل قصيدة بل يفعّل مكانا ولحظة لينشئ منهما قصيدة، ولا يتفاعل مع حالة مسبقة، بل يخلق الحال ويملي على نفسه كلماتها:

امرأة وقفتْ
في زاوية الساحةِ
بأظافر مصبوغة
ويدين تشربهًا الحزنُ
(كان الرجلُ الواقفُ في العتمة
يرقُبها..) [ص 136]

القصيدة حوار درامي بين شخصيتين يراهما الشاعر في لحظة تشابك صوري..

3

في قصائد المفردة الثالثة (تجريد) كل عنوانات قصائده زمنية، ليس فيها ما هو مكاني، فالوجود هنا يتحرر من مكانيته السابقة، بعد أن أرسى دعائمه على مثيولوجية أمكنة مختارة. أنه في قصائد (تجريد) يحلق بنا في المتخيلات الزمنية، إذ ليس له إلا لغة الضوء والأبدية وتلك العنوانات النقاط، وفي تداخل هذه المفردات يصنع الشاعر دراما الموقف العابر، لكنه الموقف الغائر أيضاً. نحن في برهة زمنية تترى عليها صور لكارثة الذات وهي ترى كل شيء وقد احتدم في اللحظة. لعلنا ندرك أن الصورة الشعرية ليست سلسلة منتظمة من الأفعال، بقدر ما هي سيرورة لكونية صغيرة تحدث أمامنا، ثم نحاول أن نجعل منها نافذة على دواخلنا، فكل ما يعاش هو مفردة غير مستقرة، وكل الذي عشناه هو سلسلة منتظمة من إخفاقات زمنية مرت على ألسنتنا وبيوتنا وذواتنا، فولدت لغة ناقصة بحاجة لمن يكملها. قصيدة (.....) ملحقة بعنوان فرعي هو (الزمان.. دونما سبب..):

كل شيء؟:
رجلٌ يدخل في شارع ضيق، يدل على فسحة محددة:
في ساحةِ الطيران تتقاطعُ النهاراتُ، الرؤى، كثافةُ الشمس؛ جداريةٌ تعلو -كمشيمةٍ- لاتحادٍ مؤجَّل. يتجه الى زاوية زرقاء: [ص 156]

تتطلب صناعة مشهد ثلاثة أفكار: صورة مركزية تتحرك حولها بقية الصور الفرعية (رجل/ ساحة الطيران) وعين رائية تجمع بين مفترقات الأشياء، (رؤى، كثافة الأشياء، جدارية، مشيمة، زاوية زرقاء) ولغة غير مستقيمة تنتقل من نقطة إلى أخرى في لحظة واحدة (يدخل، يدل، تتقاطع، كثافة، تعلو، يتجه). مرة أخرى يمارس التقطيع السينمائي دوراً شعرياً على تجزئة اللحظة والانتقالات الزمنية لها كي يطوي العدد الأكبر من المواقف لتكوين المشهد، فالعالم اليوم لغة سينمائية كما يقول تاركوفسكي..

((بعيدونَ هُم، والبياضُ السحيقُ يحيط بهم. في شارع الوقت كانوا، وكانت تُطلُّ عليهم، شُجيرات آسٍ في غمرة الزمن الوضيئة. بعضهم ما زال حياً، في ركام الكلام، وآخرون مَرّوا، من رصيف الدقائق، إلى دوحةٍ مع العُتم تَرقَى..
(التلفازاتُ وحدها تمرر الشمس: شاشاتُ الغيث..وشاشات الغيب..)
ترتجف الكأس، قبل أن تسقط من قبضة العابر، بين الموائد في ساحةٍ للسكون، العيونُ وحدها تقيم العلاقاتِ، بين وَقْع الكلام وشمس اللُّقى..)) [ص 157]

ربما الحديث هنا عن شخص افتقده في الحرب، فكان في البعد، (هناك)، بينما المشهد يتألف في لحظة زمنية أخرى (هنا) في المقهى، وحول التكوين بين الزمنية الماضية والمستمرة (بعيدون) والزمنية الحاضرة ((تطل) و(مازال حياً)) يترآى له موكب المارين من الشهداء،

ذاهبين إلى (العتمة).. كل هذه الأزمنة تنثال في لحظة عجز تامة عن اللحاق بهم، فاليد ماسكة الكأس ترتجف، وثمة ساحة داخلية للسكون، بينما الصورة الكلية لم يبق منها غير الكلام..لاشك في أنني أشطح بعيداً إلى أعمال تاركوفسكي السينمائية وهو يجمع في لقطة واحدة أزمنة متباعدة ليصبّها في بوتقة اللحظة..في قصائد (تجريد) نرى نصير فليح على أفضل وجه، لأنه لا يتعامل إلا مع تقاطعات زمانية في مكان واحد، وغالباً ما يجمع هذا المكان بين الساحة حيث الضوء وحرية الرؤية، والبار أو الغرفة حيث التركيز على الداخل، ووسط الأثنين تتجرد الأشياء والأفكار من هيكليتها القديمة لتصبح رؤى متداخلة لا تمسك منها غير توهجها اللحظوي:

قطرٌ أبيض

آلهةٌ سمراء
بلادٌ
آلهةٌ أخرى
وثنٌ
زمنٌ آخر
زَبَدٌ
....

(تنتظرُ العربات
تعودُ التلميذات) [ص 151]

لصناعة مشهد شعري يتطلب، بعد توفر العناصر الثلاثة السابقة، لغة متقطعة، تبدو من الخارج أنها غير منسجمة في سياق قرائي، لكنها في

نقطة ما من أعماق الصورة، نجدها متساوقة ومبنية على سياق معرفي دقيق..ولو دققنا النظر في المقطع السابق نجد أن السماء / العلو، هو الفضاء المهيمن على المشهد، خلال مفردات: (أبيض، آلهة، بلاد، وثن، زمن، زَبَد ومتتالية الآخر).. بينما الساحة هي مرساته الأرضية، حيث العربات وفتيات المدرسة، وهو ما يوازي حضور الفضاء..أين الشعرية في ذلك؟ لا شك في اننا لا نسأل بقدر ما نجيب؛ أنها تجريد المفارقات المكانية..

4

في قصائد جنوح - والعنوان يحيلنا على الذكرى والممارسة - شيء من التجريد أيضاً، ثمة وجود لا يصنعه الآخر، بل يصنع مع الآخر شيئاً. في هذه القصائد يكثر الحوار الذهني، ثمة اثنان لا أكثر يصنعان معاً مشهدهما الجديد، كل شيء يولد للتو، ليس ثمة زمنية للحاضر إلا قليلاً، وهذا يعني أن الشاعر يستدعي مفردات مستقرة وغير حرة ويصوغ حولها حكاية (أعوام الغفلة،....،خزانة،....، ذاكرة، قطيعة، عزوبة طويلة، استدراك)، وعنوانات القصائد كلها تحال الى الماضي، والى جنوح لا يمكن توصيفه، خاصة العنوانات النقاط، وفيها يولد الشاعر حزنه وعذاباته، هذه المرة بتكثيف أشد، العنوان يولد صوراً:

الدروب القديمةُ
مخبوءةٌ من سنين
مع البذلة العسكرية
(الحزنُ أيضاً..) [ص 163]

المفردات ذاتها وهي تؤلف مشهداً ممتلئاً بالحزن، أنه خزانة السنوات..

لا بأس، فَتلكَ بساطيلُ الحرب
مصففةٌ في الضوء :
والضوءُ غريب..
(المتحفُ خاوٍ
إلاّ من ليل بساطيلٍ نائمةٍ
في لوحِ زُجاج) [ص 164]

إن أية قراءة للصور هذه لا تجد فيها إلا الماضي وقد تحكم في مفاصلها، وبطريقة السيناريو يجسد مشهداً متداخل الأزمنة، (بساطيل الحرب ومتحف ولوح زجاج) بينما الراوي يبقى وحيداً ينتظر أن تسفر هذه المصاهرة عن شيء غير القصيدة. في قصيدة (الغَيبة)، يداخل بين المرأة والمرأة، منطلقاً لتداخلات أخرى، الشارع في الشارع والليلة في الليل، أنها الغَيبة التي تتصاهر فيها المفترقات وتتوالد فيها الأشياء كما لوكانت تموت في كل لحظة، فالظلمة مختبر للحياة.. الوجود هنا، في هذه العتمات والنقاط المنفتحة على التأويل، وفي تلك المتماثلات من الأمكنة، وفي الغياب التام لكل ملامح الأشياء، الشاعر يرى بما خلف العينين، لعالم مكتظ بالمحتملات..

الأيامُ السود
ليست سوداً..
(بين الوجه ونافلةِ الجسر
مسافاتٌ..) [ص 168]

سأتجاوز قصائد (موت) لأنها كما يبدو متناثرة السنوات، مبتدئة بعام 1999 ومنتهية بعام 2007 وهي كما أرى مجرد قصائد تتحدث عن الفقدان، واذهب مباشرة إلى قصائد (الوجود) حيث صفاء العبارة ووضوح الصورة، وهي عندي ما يشكل جسد الديوان وسرته.. قصائد كتبت ما بين 2006-2007 وواحدة في 2008 وهذا يعني ثمة ارتباط بين ما يحدث في العراق وما يتصوره الشاعر عن الوجود معنى وكياناً. أنه ينأى عن الضمير المتكلم ليغور في جماعية الشعرية، حيث تختلط كل مكونات المشهد العراقي..في قصيدة (البيت المنسي) محاكاة للقبر، لتلك المكانية المشحونة بالآتي، لأناس ماتوا وهم تحت شمس محرقة، البيت المنسي دلالة على الحياة المفقودة، وليس من سَكَنَتِهِ إلا الكلمات، هنا لا أشرح القصيدة، بقدر ما أجد في صورها شرحا لها، إنها بنية تتابعية كما لو كانت حكاية تروى بضمير جماعي. في قصيدة (غرفة الروح) هي الأخرى، صنو القبر أيضاً، الغرفة المهجورة هي الكونية المحلية التي يوطن الشاعر فيها أحاسيسه، هذه المرة يكون الوجود كله في (القاع): القبر، الغرف المنسية، الروح، وهي أمكنة الزوال والأفول، ترى لماذا تختفي الشمس ويضمحل ضوء القمر، ولم يبق إلا الكلمات؟ لنتذكر أن كتابة القصائد كلها بين عامي 2006-2007 وهي من اشد الأعوام عدمية

في العراق..في قصيدة (الوجود هنا) بجزأيها الأول والثاني ثمة حضور مكثف للزمن، وللأسئلة، ولاختلاط الأشكال، أنه الكائن الذي يبحث عن سيرورة يقول من خلالها أنه فاعل، لكن ما يحيط به يقمع كل تطلعات الأنا، أنه القدرية المضمرة، والسؤال المبهم والوجود الذي قاد الجميع إلى الحرب أو الموت. ثمة انحسار لفاعلية الإنسان وبقائه تحت هيمنة قوى عمياء تسيّره، وما بقي لديه غير أن يتطلع يمنة ويسرة، فالعالم ما عاد طريقاً إلى البيت، أنه ذلك المسرب إلى القاع:

(هنالك
في المهاوي البعيدة
عيونٌ - لها العُتْم -
حيث تغشى القبورُ وجهَ المساء) [ص 192]

هنا تتحول الشخصيات إلى أشياء، ربما تعين الشاعر على تصور آخر لفاعليتها نافذة أو باب أو شارع أو مقهى. الشخصيات تتماهى مع أشيائها، لتصبح هي كذلك مجرد أدوات يمكن أن يدخلها الشاعر في صورة من صور القصيدة. هذه العدمية والتجريدية ساقته إليها حروب كثيرة لم تترك للشخصية أن تفكر بمصائرها، إلا خلال الأمل والاحتمالات، فالوجود لها هو هذه الفردانية المطلقة:

ولكن هنا
- حيث ما زلتَ كالنافذة -

مُشرَعَاً لكّل الاحتمالات

سترعى الصباح

الذي يأتي صغيراً

ستحملُ ألعابَهُ

بين ليل المراعي، ونار النُشور. [ص 192]

يواصل الشاعر في هاتين القصيدتين اللتين كتبتا في زمن متقارب من عام 2007 البحث عن انعكاس السؤال في مرايا الوجود، عندما تتساوى شعرياً المسافة والحلم. الشخصية المحورية هنا هي الشاعر وقد تصلبت قـواه علـى نافـذة الحيـاة فـلا يـرى غير أنها مجزأة إلى أشـياء، كل شـيء فيها يحمل جزءاً منه، وفي عتمة اللغة وانثيال الصور تتزاحم في قصيدة نصير كل الـرؤى الواقعيـة والمحتملـة، فالموت ليس مجرد الدخول في قبر صامت، بل هو إلغاء لكينونة بشرية تمشي وترى وتعرف أنها مساقة لقدرها بوهم الوطن.. فالوجود الـ(هنا) قد يعني أيضاً الوجود الـ(هناك) أو الوجود الـ(هنالك) فالأزمنة تلغيها العلامات التي تؤشـر إلى الطرق المتقاطعة..

«بصمـة الإبهام أو بصمة الإبـداع لدى الشعراء تتمثل بالتمييزات النبريـة، النبرة هنا ليس بالمعنى الموسيقي وليس بالمعنى الأدبي (الأسلوبي) بل بمعنى الخاص المشبع بالعام. وإذا كان تاريخ شعرنا هـو حشـد من التكرار النبري فإن هنـاك من يمتلك وسط هذا الحشد التاريخـي، نبرته. شعر نصير فليـح يمتلـك تلك النـبرة التي انسلت من فجـوة أحدثها ضغـط الشعر؛ الالتقاطات النـادرة عبر لغة تحتفل بنفسها تلك هي نبرة هذا الشاعر».

مالك المطلبي

«نصـير فليـح شاعر اللحظـة المتوهجة، اللحظة التـي ترسمها برهة زمنية تغشـى العين فيها حدود الأشيـاء، وتذهب إلى جوهرها دفعة واحدة، وفي عتمة اللغة وانثيال الصور تتزاحم في قصيدة نصير كل الـرؤى الواقعية والمحتملة.. القصيـدة عنده مرايا تمر من أمامها كل التواريخ، فتعكسها كما لو أنهـا في كرنفـال صغير حيث يرتدي الكل أقنعة الزمـن.. قصيدة تمتلك من الوضوح الكثير وفي نفس الوقـت تحيلك إلى واقع إشكالي غائـر لم تكتشفه إلا التجربة الذاتية للشاعر.. هل نحن أمام انعطافة في الشعرية العراقية أم نحن أمام تجارب لا تتكرر إلا مرة واحدة؟».

ياسين النصير

«انطباعـي الأول من قراءة قصائد نصير فليح ضرب مـن استسلام لشاعر يلقي حصاة في بئر عالمه الشعـري الداخلي، وينتظر ما يفاجئـه من أصداء، وهي عادة ما تتردد غائمة، تلميحية، وكأنها تريد أن تلقي الكثير من أعبائها على مقدرة القارئ على التأويل.. ونصير فليح، في معظم قصائده، يحاول بغريزة الشاعر أن يحفر في عمق الدلالة، المعنى، الرؤيا..».

فوزي كريم

«يتكـئ نصير فليـح على خبرة تتيح له أن يلاعب الحداثة بأوجههـا المختلفة.. كثير مما تريد قصائد نصير فليح أن تقوله يصل إليه القارئ بالمشاركة التي هي ملمح حداثي..».

حاتم الصكر

«الشاعـر يتعامـل مع الكلمات بدقة واقتصاد وأناقة لتحقيق بنية شعرية تميل إلى التشظي من الأطر الخارجية والشكلية في بناء القصيدة الحداثية. فمن خلال ضربات سريعة وبالاعتماد على تجاور أو تناوب الصور والملصقات البصرية تتحرك اللغة الشعرية لتخلق صدمة تثير دهشة القارئ وتستفز ردود أفعاله الساكنة...».

فاضل ثامر





الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com